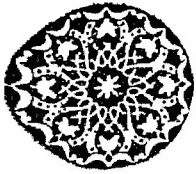


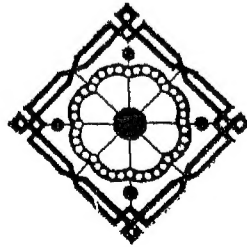
الكتوة كريمة محمود أبو زيد

مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الأزهر



علم المعاني

دراسة .. وتحليل



0140585



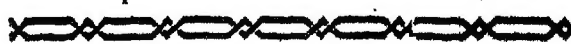
Bibliotheca Alexandrina



الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠



الدكتورة كريمة محمود أبو زيد

مدرس البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر

علم المعاني

دراسة .. وتحليل

الناشر
مكتبة وهبة
٤ شارع الجمهورية - مايتدين
تلفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

دار النوفق للنموية
للطباعة والتجميع الأولى
الرياض - ص.ب. ٣٢٢٢٢ - الميناء - جدة - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان »

« صدق الله العظيم »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

الى من ادين لهم بالعلم والفضل ..

الذين كانوا نبراسا للأخلاق قبل ان يكونوا اعلاماً للعلم ..

الذين علموني أن العلم امانة وأنه فرض على كل مسلم ومسلمة ..

لهم جميعا اقدم ثمرة جهدهم وحصاد غرسهم ..

د • كريمة أبو زيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله على كثير نعمائه التى لا تحصى ولا تعد ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق الذى أوجز الكلام بلا خلل وأفاض المعنى بلا ملل .

وبعد ..

فهذا الكتاب « علم المعانى .. دراسة وتحليل » يتعرض فيه لدراسة أحوال التراكيب التى تتعرض لأحد الفنون البلاغية التى تعالج الصور المختلفة لأحوال اللفظ العربى ، وكذلك أحوال الجملة فى اللغة العربية من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف وتنكير وغيرها ، بل أيضا ما يتعلق بركنى الجملة الأساسيين - المبتدأ والخبر - من مكملات ، كالجار والمجرور والحال والظرف ، والتمييز وغيرها ، والأثر البلاغى الكامن فى التعبير بهذه المكملات .

وقد تعرض البلاغيون المتقدمون للتصدى للكشف عن هذه الأسرار البلاغية التى تكمن فى مواطن التعبير بها . وقد اتخذتها النفس سبيلا للتعبير عما يجيش فى مكنوناتها .

وبعد علم المعانى أحد علوم البلاغة الثلاثة التى يراعى الأديب أو الناظم قواعده عند الكلام ، ثم يكون عليه بعد ذلك مراعاة أن يكون الكلام واضح الدلالة على المعنى المراد من تشبيه أو استعارة أو كناية ، وغيرها من الصور البلاغية التى تعد من مباحث « علم البيان » ثانياً العلوم البلاغية . ثم يبقى تحسين الكلام وتنميقه وهو ما يعرف بـ « علم البديع » ثالث علوم البلاغة .

فمهمة هذه العلوم ان تضع ايدى الكاتب على طرق صياغة الأسلوب الصحيح الخالى من العيوب ، والتى تسلمه من برائن النقد ، فتأتى قصيدته الشعرية ، ومقالته الأدبية أو قصته اياً ما كان لونها ، أو كان محدثاً لجمهور من الناس ، كان الأسلوب قوياً سليماً شائقاً مؤثراً فى الذات والحس .

ولا شك ان أقوى الكتب وأسلمها من الناحية البلاغية « القرآن الكريم » الذى نزل بلغة أهل الجزيرة العربية وهم من هم فى الفصاحة وفى تأليف الكلام القوى الجزل . وليس أدل على ذلك من موقف الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن الكريم فقال قولته الشهيرة : « ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لثمر ، وان أسفله لمغدق » . الخ .

وهذه العلوم الثلاثة حينما نقوم بدراستها فاننا نهدف من وراء ذلك الى اعانة قارئ العربية على فهم « القرآن الكريم » ، وتدبر معانيه ، وخفايا أسرار ، وتذوق أساليبه ، للوصول الى عميق حكمته وتفصيل أحكامه .

وفى كتابى هذا تعرضت لأحد هذه العلوم البلاغية الثلاثة - علم المعانى - ليكون عوناً لدارس البلاغة للنهوض بمعرفة ثلث علومها ، وعليه ان يتابع ثلثيها الآخرين حتى تتم له المعرفة الكاملة بخفايا أسرار الأساليب مما يعينه على فهم القرآن الكريم فهماً عميقاً كاملاً .

وأسأل الله ان ينفذ بهذا الكتاب ، والله من وراء القصد وهو الهادى الى سبيل الرشاد .

د . كريمة أبو زيد

عابدين فى ٢١ من المحرم سنة ١٤٠٨ هـ
١٤ من سبتمبر سنة ١٩٨٧ م

الباب الأول

الفصاحة .. والبلاغة

- الفصاحة •
- البلاغة •

الفصل الأول

الفصاحة

الفصاحة لغة : من قولهم « أفصح فلان عما فى نفسه : اذا أظهره والشاهد على أنها هى الاظهار ، قول العرب : فصح الصبح اذا أضاء . وأفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر ، وفصح أيضا ، وأفصح الأعجمى : اذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين . وفصح اللحن اذا عبر عما فى نفسه وأظهره على الصواب دون الخطأ » (١) .

● الفصاحة اصطلاحاً : هى كون الالفاظ بيئة واضحة متبادرة الى الفهم ، مأنوسة الاستعمال .

- والفصاحة تقع وصفاً للكلمة ، والكلام ، والمتكلم .
- فتقول فى المفرد : كلمة فصيحة . وفى الكلام : قصيدة فصيحة .
- وفى المتكلم : شاعر فصيح .

(١) « كتاب الصناعتين الكتابة والشعر » لأبى هلال العسكري تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ص ١٢ طبع عيسى الحلبي سنة ١٩٧١ .

فصاحة الكلمة

وقد تعارف البلاغيون المتأخرون (٢) أمثال الخطيب القزويني (ت ٧٤٩ هـ) ، والشيخ سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) على أن فصاحة المفرد لا بد من خلوها من عيوب أربعة :

١ - تنافر الحروف .

٢ - الغرابة .

٣ - مخالفة القياس اللغوي .

٤ - الكراهة في السمع .

وسنتعرض بالتفصيل لكل منها .

١ - تنافر الحروف : هو وصف في الكلمة تكون بسببه متناهية في الثقل على اللسان ، عسر النطق بها .

وهو نوعان :

(١) شديد في الثقل :

كلفظ « الهعخع » التي وردت في رواية أن أعرابياً سئل عن ناقتة فقال : « تركتها ترعى الهعخع » (٣) فقد قيل : ان هذه الكلمة لا أصل لها ، « وكالظش » للموصع الخشن .

(٢) « دلائل الاعجاز » للشيخ عبد القاهر الجرجاني ص ٣١ وما بعدها وشروح التلخيص ج ١/٧٦ ، ٧٧ .

(٣) « قيل انه اسم شجر ، وقيل انه معاياه لا أصل لها . ومثاله : كل كلمة يجمع فيها بين العين والحاء ، أو بين الغين والحاء ، أو بين الجيم والصاد ، أو بين الجيم والقاف مثل : عقق ، والظش ، والشصاء ونحوها » . ينظر بغية الايضاح ج ١/١٢ .

(ب) خفيف فى الثقل :

كلفظ « مستشزرات » فى قول امرىء القيس :

وفرع يزين المتن أسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعكل (٤).
غدائره مستشزرات الى العلى تضل المدارى (٥) فى مثنى ومرسل (٦)

ومستشزرات - بفتح الزاى : أى مرفوعات ومعنى البيتين أن : الشعر يزين الظهر ، أسود شديد السواد كالفحم ، وهو غزير كعنقود النخلة المتراكم بالرطب . وذوائبه مرفوعات الى أعلى ، ولكثرة هذا الشعر تغيب فيه الأمشاط . فهو ما بين مفتول ، ومثنى ومرسل ، فهناك تنافر واضح فى كلمة « مستشزرات » .

[ومثله كلمة : « اطلخم » فى قول أبى تمام :

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت عشواء تالية غبسا دهاريسا (٧)

فكلمة « اطلخم » فيها كراهة فى السمع والذوق وهى أيضا غريبة غير متداولة ، وكذلك لفظ « دهاريسا » . وكذلك لفظ : متعجر : للسائل من المساء أو الدمع . وكذلك : « العثلوج » بمعنى الغصن . والشوحط : بمعنى شجر البان] .

(٤) فرع المرأة : شعرها ، والمتن : الظهر . والاثيث : الكثير الشعر والقنو : العنقود ، والمتعكل : المتراكم .

(٥) فى رواية أخرى : العقاص .

(٦) الغدائر : الذوائب . والمستشزرات : المرتفعات . والمدارى : الأمشاط : جمع مدرى . والمثنى : المفتول . والمرسل : غير المفتول .

(٧) اطلخم الأمر : بمعنى اشتد ، والعشواء : الناقة التى لا تبصر ليلا ، غبسا : جمع غبساء وهى الظلمة الشديدة ، دهاريسا : دواهى ، مفردة : دهريس .

٢ - الغرابة :

أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال
عند العرب الفصحاء . ويعد لها نوعان :

(١) فمنه ما يحتاج الى البحث عنه فى كتب اللغة المبسطة .

كما روى عن عيسى بن عمر النحوى . أنه سقط عن حمار ، فاجتمع
عليه الناس فقال : « مالكم تكأكتم على كتاكؤكم على ذى جنة ، أفرنقوا
عنى » . أى اجتمعتم ، تنحوا . فالغريب فى الاستعمال قوله :
« أفرنقوا » .

وكلفظة « كهل » فى شعر بعض الهذليين :

فلو كان سلمى جاره أو أجاره رياح بن سعد رده طائر كهل (٨)

« سئل الأصمعى عنه فلم يعرفه . وقيل : انه الضخم » (٩) .

وكلفظة : « مشمخر » فى قول بشر بن عوانة يصف الأسد :

فخر مدرجا بدم كانى هدمت به بناء مشمخرا

(ب) ومنه ما يخرج له وجه بعيد وذلك لعدم شيوع الكلمة .

(٨) البيت لأبى خراش الهذلى ، والمراد « بالطائر الكهل » الحظ
السعيد . والبيت من قصيدة مطلعها :

كان الغلام الحنظلى أجاره عمانية قد عم مفرقها القمل

ديوان الهذليين ص ١٦٥ ط . دار الكتب .

(٩) « الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة » تصنيف محمد بن
على بن محمد الجرجانى تحقيق د . عبد القادر حسين ، ص ٤ ، ٥
ط . دار نهضة مصر الفجالة سنة ١٩٨٢ .

كلمة « المسرج » فى قول العجاج :

أيام أبدت واضحاً مفلجاً أغر براقاً وطريراً أبرجاً
ومقلة وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مسرجاً (١٠)

« فانه لم يعرف ما أراد بقوله : « مسرجاً » حتى اختلف فى تخريجه
فقيل : هو من قولهم للسيوف : سريجية ، منسوبة الى قين يقال له سريج ،
يريد أنه فى الاستواء والدقة كالسيوف السريجية ، وقيل : من السراج يريد
أنه فى البريق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه - بكسر
الراء أى : حسن . وسرج الله وجهه : أى بهجه وحسنه » (١١) .

٣ - مخالفة القياس :

وهو أن تجيء اللفظة مخالفة لما تعارف عليه اللغويين والنحاة .

مثل لفظة « الأجلل » فى قول أبى النجم :

الحمد لله العلى الأجلل الواحد الفرد القديم الأول

لفظة « الأجلل » مخالفة للوضع الصرفى . فالقياس « الأجل »
بالادغام . والذى جاء لفك الادغام ضرورة الشعر الا ان ذلك مخلاً بفصاحة
الكلام لأنه من الضرورات الشعرية ما هو مستقبح .

وكذلك ما جاء فى قول سيبويه :

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضنونا

لفظة « ضنونا » مخالفة للقياس . والقياس « ضنوا » بالادغام .

(١٠) مزججاً : مدققاً مطولاً . والفاحم : الشعر الشديد السواد .
والمرسن : بكسر الميم وفتح السين كمنبر ، ويفتح الميم وكسر السين كمجلس .
والمرسن : اسم المحل . الرسن هو أنف البعير ثم أطلق وأريد به الأنف
مطلقاً على سبيل المجاز المرسل ومعناه : أنه ذا لمعان .

(١١) البغية : ج ١٥/١

٤ - الكراهة فى السمع :

كما يعرفه الخطيب القزوينى « بأنه تمج » الكلمة ويستبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة ، فان اللفظ من قبيل الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ، ومنها ما تكره سماعه» (١٢) .

يقول الامام محمد بن على الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ) نقلاً عن ابن سنان الخفاجى : « ان لفصاحة المفرد سبباً آخر وهو ان تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسناً ومزية على غيرها أى خلوص الكلمة من الكراهة فى السمع : كتأليف الغصن ، والفنن ، فان كل سامع يدرك بالضرورة تفرقة بين اغصان البان ، وبين عساليج الشوحط (١٣) ، فان انكر منكر ذلك ثم تنغى بأحدهما مغن ، والاخر الآخر لابد أن يعترف السامع بطريه بالاول ، دون الثانى ، والا لخرج عن جملة العقلاء ، وكذلك كلمة «تفارج» فى قول المتنبى :

إذا سارت الأحداج فوق نباته تفارج مسك الغايات ورنده (١٤)

فان لها فى السمع مزية لا ينكرها ذو طبع سليم ، وضده ما جاء فى فى قول المتنبى .

مبارك الاسم أغر اللقب . كريم الجرشي (١٥) شريف النسب

..... (١٢) المصدز السابق ج ١٦/١ وما بعدها .

..... (١٣) عساليج الشوحط: شجر كثير الشوك يتخذ منه القبى .

(١٤) الأحداج : جمع حدج وهو مركب النساء ، والرند : نبت طيب الرائحة .

..... (١٥) الجرش : بكسر الجيم والراء مقصوراً : النفس . والاغز من الخيل الأبيض النجبهة ثم استعير لكل واضح معروف . مبارك الاسم : يقصد الأمير على أمير حلب وقد وافق اسمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

فان لتأليف « الجرش » كراهة فى السمع ، ونبوا عنه ، فالمعنى :
 « أى كريم النفس » (١٦) ويرجع الامام الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ)
 السر فى أن لبعض الألفاظ مزية فى السمع كما فى غصن ، وفوح الى
 سببين : « الأول : أن كل واحد مركب اعدل تركيب ، وهو فى الثلاثى
 ساكن الوسط ، حَرف للابتداء به ، وحرف للاعراب والوقف عليه ،
 وحرف للفصل بينهما ولا يحتاج الفاصل الى حركة . الثانى : أن كل
 واحد مركب من حروف متباعدة فى المخرج مرتبة على سمت واحد ،
 وحركة واحدة للكلمة ، فان الفاء من اعلى المخارج والواو من اوسطها
 والحاء من اسفلها . واما نحو « عساليح الشوحط » و « الجرش » فكراهة
 السمع له للغرابة » (١٧) .

بينما يرى الامام السبكى أن : « الكراهة من جهة الصوت لا تعلق
 لها بالفصاحة لأن السمع قد يستلذ بغير الفصيح اذا نطق به حسن الصوت ،
 وقد يكره السمع الفصيح اذا نطق به قبيح الصوت » (١٨) .

والامام السبكى يرى أن : « كراهة لفظ « الجرش » ترجع الى تتابع
 الكسرات ، وبعضهم يرى أنه لا كراهة فيها » (١٩) .

ومثله كلمة : « اطلخم » فى قول أبى تمام :

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت عشواء تالية غبسا دهاريسا (٢٠)

(١٦) الاشارات والتنبيهات للامام محمد الجرجانى (ت ٧٢٩ هـ)
 تحقيق د. عبد القادر حسين ص ٩ ، ١٠ بتصرف .

(١٧) المصدر السابق ص ٩ ، ١٠ - « العثلوج » بمعنى الغصن .
 و « الشوحط » بمعنى شجر اللبان .

(١٨) ينظر « حاشية الدسوقي » ضمن شروح التلخيص .
 ج ١/٩٠ ، ٩١ .

(١٩) « عروس الأفراح » لبهاء الدين السبكى ضمن شروح التلخيص .
 ج ١/٩٠ ، ٩١ . بتصرف .

(٢٠) انظر هامش (٧) بصفحة ١٣ .

فكلمة « أطلخم » فيها كراهة فى السمع والذوق ، وهى أيضا غريبة غير متداولة .

وكذلك لفظ : « دهاريسا » . وكذلك لفظ « مثنجر » للسائل من الماء أو الدمع . وكذلك « العثلوج » بمعنى الغصن . و « الشوحط » بمعنى شجر البان .

كما توجد بهذه الكلمات تنافر فى الحروف كما سبق أن ذكرت . « ولا ضابط لمعرفة الثقل والصعوبة سوى الذوق السليم والحس الصادق الناجمين عن النظر فى كتب البلغاء وممارسة أساليبهم » (٢١) . وقد زاد الامام محمد بن على الجرجاني عوامل أخرى لفصاحة الكلمة نذكر منها :

١ - أن لا تكون الكلمة عامية « كتفرعن » فى قول أبى تمام :
جليت والموت مبد حر صفحته وقد تفرعن فى أفعاله الأجل (٢٢)

ويلحق بذلك ما حذف منه أو زيد على غير قياس . أما الحذف فكقول
رؤبة : « قواطنا مكة من ورق الحما » (٢٣) .

أراد : الحمام . أما الزيادة فكقول ابن هرمة :

فأنت من الغوائل حين ترمى وعن ذم الرجال بمنتزاج
أراد : بمنتزاح .

(٢١) « جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع » تأليف السيد
المرحوم أحمد الهاشمى طبع ونشر دار احياء التراث العربى بيروت .

(٢٢) من قصيدة يمدح فيها المعتصم بالله مطلعها :
فحواك عين على نجواك يامذل حتام لا يتقضى قولك الخطل
ديوانه ١١٦/٣ ط دار المعارف .

وتفرعن مشتق من اسم فرعون ، وهو من ألفاظ العامة ، وعادتهم
أن يقولوا : تفرعن فلان اذا وصفوه بالجبرية . ينظر كتاب « الاشارات
والتنبيهات » ص ٦ .

(٢٣) ديوان العجاج ٥٨/١ ، ٦٢ .

٢ - أن تكون الكلمة معبرة عن غير ما عبرت به العرب « كقسط »
 في قول أبي عباد :
 شرطى الانصاف لو قيل استرط وعدوى من اذا قيل قسط

أراد بقسط : عدل ، وليس كذلك ، وإنما هو بمعنى جار ، واقسط
 بمعنى عدل .

٣ - أن تكون الكلمة غير خارجة عن حد الاعتدال كثيراً ، كمغناطيس
 في قول ابن نباته :

فاياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم إلا ان مغناطيسهن الذوائب (٢٤)



(٢٤) « الاشارات والتنبيهات » ص ٧ ، ٨ وما بعدهما تحقيق
 د. عبد القادر حسين .

فصاحة الكلام

وهو : سلامة الأسلوب بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه .
ولا بد من حلوصه من خمسة عيوب :

١ - ضعف التأليف .

٢ - تنافر الكلمات مجتمعة .

٣ - التعقيد اللفظي والمعنوي .

٤ - كثرة التكرار .

٥ - تتابع الإضافات .

١ - ضعف التأليف :

ان يكون الكلام جارياً على خلاف المشهور من قوانين النحو المعتمدة
عند جمهور العلماء . كالأضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورتبة ، كقول
حسان بن ثابت :

ولو ان مجدداً أخلد الدهر واحداً من الناس أبقي مجده الدهر مطعماً (١)

فالضمير في « مجده » راجع الى « مطعماً » وهو متأخر لفظاً ورتبة .

ومثله حذف « أن » مع بقاء عملها في قول طرفة :

الا أيها الزاجري احضر الوغى وإن أشهد اللذات هل أنت مخلصي

حيث نصب الفعل المضارع « احضر » دون وجودها .

٢ - تنافر الكلمات :

منه : ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر
النطق بها متتابعة :

(١) المعنى : انه لو كان مجد الانسان سبباً لخلوده في هذه الدنيا
لكان مطعم بن عدى وهو أحد رؤساء المشركين ، وكان يدافع عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

كما فى قول الجاحظ :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر (٢)
فتكرار القاف مع الفاء والراء اوجب الثقل فى النطق مما اخل
بفصاحة الكلام .

ومنه : ما هو دون ذلك كقول أبى تمام :

كريم متى امدحه امدحه والورى معى واذا ما لمته لمته وحسدى (٣)

وقد ذكر الامام الجرجانى أن السر فى عدم فصاحته : « لا لاجتماع
حرفى حلق فقط فى « امدحه » ، كما قال المعاصر (٤) : لأنه جاء فى
القرآن مثله : « وسبحه ليلا طويلا » (٥) ، ولا لمجرد تكرار الكلمة :
والا لاخل أيضا تكرار لمته ، بل لهما معاً » (٦) .

٣ - التعقيد اللفظى والمعنوى :

وهو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المراد به وهو قسمان :

(١) التعقيد اللفظى :

ويعرفه الخطيب القزوينى فيقول : « فالكلام الخالى من التعقيد
اللفظى ما سلم نظمه من الخل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم
أو تأخير أو اضممار ، وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية او معنوية » (٧) .

(٢) هو فيما زعموا لبعض الجن . والقفر : الخالى . وهو مرفوع
صفة لمكان على القطع أو خبر المبتدأ وهو « قبر » . والمعنى : أنه مع
مكانه قفر ، وفى هذا الوجه تكلف . ينظر البغية ج ١٩/١ .
(٣) ديوان أبى تمام من قصيدة يمدح فيها أبا الغيث الرافعى
ويعتذر له ج ١١٦/٢ .

(٤) يقصد به الخطيب القزوينى (ت ٧٤٩ هـ) .

(٥) الانسان : ٢٦ .

(٦) « الاشارات والتنبيهات » ص ١١ ، ١٢ .

(٧) البغية ج ٢١/١ .

كقول الفرزدق يمدح ابراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك
ابن مروان :

وما مثله فى الناس الا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه
فالترتيب الصحيح للبيت : وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا
أبو أمه أبوه .

فقوله : « وما مثله » ، يعنى ابراهيم الممدوح ، « فى الناس حى
يقاربه » أى : لا أحد يشبهه فى الفضائل « الا مملكا » : يعنى هشاماً
أبو أم هشام هو : أبو الممدوح ، فالضمير فى أمه للملك وهو هشام .

« فقد فصل بين « أبو » وهو مبتداً ، « وأبوه » وهو خبره ،
بـ « حى » ، وهى أجنبى ، وكذلك فصل بين « حى » وجملة : « يقاربه »
وهو نعت « حى » ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، مما جعل صعوبة
شديدة فى الوصول لفهم المعنى المراد « (٨) .

ومن ذلك قول الشاعر يصف داراً لم يبق منها الا رسمها :

فأصبحت بعد حظ بهجتها كان قفراً رسومها قلما .

والترتيب الصحيح لقول الشاعر :

فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلما خط رسومها
فقدم وأخر ، مما أدى الى التعقيد فى المعنى أيضاً .

(ب) التعقيد المعنوى :

أن يكون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه
الا بعد عناء ، وتفكير طويل . وذلك لخلل فى انتقال الذهن من المعنى
الأول الى المعنى المقصود ، فتجد القرينة غير واضحة الدلالة على المعنى
المقصود فتحتاج الى لوازم عدة حتى نصل للمعنى المراد .

أو أن يستخدم معنى فى غير ما تعارف عليه البلاغيون فى أساليبهم
فيؤدى ذلك الى تعقيد فى المعنى .

(٨) المصدر السابق ج ٢٠ / ١ .

فمن ذلك قول العباس بن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

فقد كنى بسكب الدموع عن الحزن ، وقد أصاب فى هذا المعنى ، لكن جانبه الصواب حين كنى بجمود العين عن السرور الذى يوجبه دوام التلاقى ذلك لأنه حين يطلب من عينه أن تجود بالدمع لشدة فرحه وسروره فانها تجمد فذلك يكون كناية عن البخل وليس العطاء . اذ لم يعرف فى كلام العرب عند الدعاء لشخص بالسرور أن يقال له : « جمدت عينك » أو : « لا زالت عينك جامدة » . بل المعروف عندهم أن جمود العين إنما يكتنى به عن عدم البكاء فى حالة الحزن كما فى قول الخنساء :

أعيني جودا ولا تجمدا لا تبكيان لصخر الندى

وكما فى قول أبى عطاء يرثى ابن هبيرة :

الا أن عينا لم تجد يوم واسط عليك بجارى دمعها لجمود

« فالكلام الخالى عن التعقيد المعنوى ما كان الانتقال من معناه الأول الى معناه الثانى الذى هو المراد به ظاهره ، حتى يخيل اليه السامع أنه فهمه من حاق اللفظ » (٩) .

٤ - كثرة التكرار (١٠) :

وهو أن : « يتكرر اللفظ الواحد ، اسماً كان أو فعلاً أو حرفاً ، وسواء اكان الاسم ظاهراً ، أو ضميراً ، تعدد مرة بعد أخرى بغير فائدة » (١١) .

(٩) البغية ج ١ / ٢٣ .

(١٠) المراد بالكثرة : ما فوق الواحد . وانما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة والا لقبح التوكيد اللفظى .

(١١) « جواهر البلاغة » للسيد أحمد الهاشمى ص ٢٦ بتصرف .

كقول أبي الطيب المتنبي :

وتسعدنى بغمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد (١٢)
والشاهد : فى كثرة الضمائر وتواليها فى قوله : « لها منها عليها » .

٥ - تتابع الاضافات :

وهو كون الاسم مضافاً اضافة متداخلة غالباً .

كقول ابن بابك :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى فانت بمرأى من سعاد ومسمع
والجرعاء : مؤنث الأجرع : وهو المكان ذو الرمل لا ينبت شيئاً ،
وحومة الشيء : معظمه . والجندل : الحجارة . وهو مضاف الى الجندل .
ومرأى ومسمع : اسما مكان ، والشاهد : فى اضافة حمامة الى جرعا ،
وجرعا الى حومة ، وحومة الى الجندل .

وكقول الشاعر :

انى واسطار سطرن سطرأ لقائل يانصر نصر نصرأ

وكقول ابى تمام فى المديح :

كأنه فى اجتماع الروح فيه له فى كل جارحة من جسمه روح

يذكر الامام عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) : « قال صاحب :
ايك والاضافات المتداخلة ، فان ذلك لا تحسن ، وذكر انها تستعمل
فى الهجاء كقول القائل :

يا على بن حمزة بن عمارة وانت والله ثلجة فى خياره

(١٢) السبوح : السريعة . من قصيدة له فى مدح سيف الدولة مطلعها :
عواذل ذات الخال فى حواسد وان ضجيج الخود منى لماجد
ينظر الديوان ج ٢٧٠ / ١ .

قال الشيخ : « ولا شك فى ثقل ذلك فى الأكثر ، ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف مثل قول ابن المعتز :

وظلت تدير الراح ايدى جآذر
عتاق دنانير الوجوه ملاح(١٣)»(١٤)

كما جاء فى القرآن الكريم دون اخلال بفصاحة النسق القرآنى كقوله تعالى : « ذكر رحمة ربك عبده زكريا »(١٥) وقوله تعالى : « مثل داب قوم نوح »(١٦) .

كما وردت الاضافات متتابعة دون اخلال فى قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » .

● فصاحة المتكلم :

« ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقصوده بحسب مقتضى الحال بلفظ فصيح »(١٧) .

وننتقل الآن للحديث عن البلاغة .

(١٣) الراح : الخمر ، والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية ، والعتاق جمع عتيق وهو كريم والشاهد فى الاضافات المتتابعة : « عتاق دنانير الوجوه ملاح » .

(١٤) « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجانى ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٥) مريم : ٢ . (١٦) غافر : ٣١ .

(١٧) البغية ج ٢٥/١ ، والاشارات والتنبيهات ص ١٦ .

الفصل الثانى

البلاغة

البلاغة تقع وصفاً للكلام والمتكلم : « وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة » (١) .

● **البلاغة لغة :** « من قولهم : بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها غيرى . ومبلغ الشيء : منتهاه . والمبالغة فى الشيء : الانتهاء الى غايته ، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى الى قلب السامع فيفهمه . وسميت المبالغة بلغة لأنك تتبلغ بها فتنتهى بك الى ما فوقها ، وهى البلاغ يضا . والبلاغة أيضاً : التبليغ فى قول الله عز وجل : « هذا بلاغ للناس » (٢) أى تبليغ . ويقال : بلغ الرجل بلاغه : اذا صار بليغاً » (٣) .

● **اصطلاحاً :** « كل ما تبليغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك على صورة مقبولة ، ومعرض حسن » (٤) .

(١) « كتاب الصناعتين » للأبى هلال العسكري ص ١٢ .

(٢) ابراهيم : ٥٢ .

(٣، ٤) المصدر السابق ص ١٢ ، ١٦ كما ينظر نهاية الايجاز فى راية الاعجاز لفخر الدين الرازى ص ٩ وما بعدها .

بلاغة الكلام

هو مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .

● تعريف الحال ومقتضاه :

الحال : هو الأمر الداعى للمتكلم الى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدي به أصل المراد خصوصية ما . هذه الخصوصية التى اعتبرها مع الكلام هى مقتضى الحال .

فاذا كان حال المخاطب منكراً فان الحال يقتضى تأكيد الحكم ، وتأكيد الحكم هو مقتضى الحال .

فاذا قلت : « جاء زيد » والمخاطب منكر ذلك فان مقتضى الحال يتطلب ذكر مؤكداً ليكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال فتقول : « ان زيدا قد جاء » .

● « ومقتضى الحال مختلف ، أى متفاوت فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الرصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى ، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام » (٥) .



بلاغة المتكلم

« ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ » .

ويذكر أبو هلال العسكري مقومات تلك الملكة فيقول : « أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان ، وذلك من فعل الله تعالى ، لا يقدر العبد على اكتسابه لنفسه واجتلابه لها ، ومن تمام آلات البلاغة ، التوسع في معرفة العربية ، وجودة الاستعمال لها ، والعلم بفاخر الالفاظ وساقطها ، ومتخيرها ورديئها ، ومعرفة المقامات ، وما يصلح في كل واحد منها » (٦) .

(٦) الصناعتين : ص ٢٦ ، ٢٧ بتصرف .

الفرق بين الفصاحة والبلاغة

يرى بعض العلماء المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وان اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما ، انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له .

ومن هؤلاء أبى هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) (١) والامام عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) الذى نقل الخطيب القزوينى عنه رأيه فيقول : « فالبلاغة صفة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب ، وكثيراً ما يسمى ذلك فصاحة ايضاً ، وهو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره فى دلائل الاعجاز - من ان الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ ، كقوله فى اثناء فصل منه : علمت أن الفصاحة والبلاغة ، وسائر ما يجرى فى طريقهما أوصاف راجعة الى المعانى ، والى ما يدل عليه بالالفاظ دون الالفاظ أنفسها . وانما قلنا مراده ذلك لأنه صرح فى مواضع من « دلائل الاعجاز » : أن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه » (٢) .

فأبى هلال العسكرى ، والامام عبد القاهر الجرجانى يلتقيان فى ان البلاغة والفصاحة ، وان اختلف مدلولهما اللغوى ، الا أنهما يلتقيان فى الابانة عن المعنى ، واظهاره فجعلوهما فى الاصطلاح شيئاً واحداً . الا أن أبى هلال العسكرى عاد ليذكر رأياً آخر له اذ يقول : « ان الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهى تتعلق باللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هى انتهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى » (٣) .

وقد ذكر الامام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) رأياً يتفق مع الرأى الأخير لأبى هلال العسكرى ، حيث يقول : « اعلم أن المقصود

(٢) البغية ص ٢٨ ، ٢٩ .

(١) الصناعين ص ١٣ .

(٣) الصناعتين ص ١٤ .

من الكلام افادة المعانى ، وهذه الافادة على وجهين : افادة لفظية ، وافادة معنوية ، فأما الافادة اللفظية فيستحيل تطرق الكمال والنقصان اليها ، فان السامع للفظ اما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً لمسامه ، أو لا يكون .

فاللألفاظ فى دلالتها الوضعية اما أن تفيد مسمياتها بالكمال أو لا تفيد شيئاً منها أصلاً

وأما الافادة المعنوية فلأجل أن حاصلها عائد الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلزمه من اللوازم « (٤) » .

« والمسألة عندنا لا تحتاج الى احتفال ومناقشة كما فعل باحثها فى دائرة المعارف ، لأنه لا مشاحة فى الاصطلاح ، وخاصة اذا كان لا يترتب عليه أمر ذو بال » « (٥) » .

(٤) « نهاية الایجاز فى دراية الاعجاز » لفخر الدين الرازى ص ٩ وما بعدها بتصرف .

(٥) « خصائص التراكيب » د . محمد أبو موسى ص ٣١ .

علم البلاغة

ينقسم علم البلاغة الى ثلاثة فنون أو علوم :

● **الاول :** يبحث فى احوال اللفظ العربى من تعريف وتنكير ، وذكر وحذف ، وتقدير وتأخير ، وقصر ، وفصل ووصل ، وغيره من الموضوعات مما يتعلق بدراسة احوال التراكيب وكيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ويسمى هذا « بعلم المعانى » .

● **الثانى :** « علم البيان » : علم يعرف به ايراد المعنى الواحد فى تراكيب مختلفة بعد رعاية مطابقته مقتضى الحال فى وضوح الدلالة عليه .

وقد قدم بعض البلاغيين علم المعانى على علم البيان ، لأنه بمنزلة المفرد من المركب ، ففيه زيادة اعتبار « لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال وهو مرجع علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع زيادة شئ آخر وهو ايراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة وهو علم (ملكة) يقتدر بها على ادراكات جزئية ويجوز أن يراد به نفس الأصول والقواعد المعلومة » (١) .

● **الثالث :** « علم البديع » : « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه مقتضى الحال ، وفصاحته » (٢) .



(١) المختصر على المطول ج ١ / ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) بغية الايضاح ج ١ / ٣٢ .

الباب الثاني

علم المعاني

- أحوال الاسناد الخبري *
- أحوال المسند اليه *
- أحوال المسند *
- أحوال متعلقات الفعل *

علم المعانى

—

● تعريفه :

عرفه البلاغيون بأنه : « علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال » .

● أبوابه :

وقد حصر البلاغيون أبواب هذا العلم فى ثمانية :

- ١ - أحوال الاسناد الخبرى .
- ٢ - أحوال المسند اليه .
- ٣ - أحوال المسند .
- ٤ - أحوال متعلقات الفعل .
- ٥ - القصير .
- ٦ - الانشاء .
- ٧ - الفصل والوصل .
- ٨ - الايجاز والاطناب والمساواة .

وقد تعرضت فى كتابى هذا بالبحث فى أربعة موضوعات هى :
أحوال الاسناد الخبرى ، أحوال المسند اليه ، أحوال المسند ، أحوال
متعلقات الفعل .

ويرجع الامام القزوينى وجه الحصر فى هذه الابواب الثمانية الى أن : « الكلام اما خبر او انشاء ، لأنه اما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، أو لا يكون لها خارج ، الأول : الخبر ، الثانى : الانشاء » (١) .

تقسيم الكلام الى خبر وانشاء

هذا ، والجملة الخبرية هي : ما تضمنت أمراً يطابق الواقع أو لا يطابقه .

أما ان تضمنت أمراً لا واقع له يطابقه أو يخالفه فتلك : الجملة الانشائية . مثل قولك : « حضر زيد » فهذا القول يحتمل أن يكون زيد قد حضر فعلاً أو لم يحضر . فالأسلوب الذى يحتمل أن يوصف بالصدق أو الكذب ، فهذا يسمى أسلوباً خبرياً . إلا أن هناك أساليب توصف بالصدق فحسب مثل : أخبار القرآن الكريم ، إذ لا تحتمل إلا الصدق ، لأنها كلام الله تعالى ، أما أخبار غير القرآن الكريم فتحتمل الصدق والكذب من حيث هي أخبار بغض النظر عن قائلها .

أما حين نتأمل قول الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها فاذهب فانك أنت الطاعم الكاسى

فالحطية يهجو الزبرقان وقد شكاه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ففعل الأمر « دع » يتضمن طلباً لا يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب لأنه لا واقع له يطابقه أو يخالفه ، ومثل هذا يسمى أسلوباً انشائياً . ومثله أساليب النداء والنهى والاستفهام والتبني فهذه أساليب تطلب أموراً لا وجود لها وقت الطلب .



الفصل الأول

أحوال الاسناد الخبرى

تتكون الجملة فى اللغة العربية من ركنين أساسيين ، الأول : المحكوم عليه ، أو المسند اليه ، أو المخبر عنه .
والثانى : المحكوم به أو المسند ، أو المخبر به ، وتسمى النسبة بينهما : « اسناداً خبرياً » كما فى قولك : « الايمان قوة » فـ « الايمان » : هو المحكوم به ، و « قوة » : المحكوم عليه على وجه يفيد أن القوة ثابتة لمفهوم الايمان .

وفى قولك : « ليس المنفلوطى شاعراً » فـ « المنفلوطى » محكوم عليه أو مسنداً اليه .

و « شاعراً » : محكوم به أو المسند . فكلمة « شاعراً » مسندة الى « المنفلوطى » على وجه يفيد أن قول الشاعر منفى عنه والنسبة بينهما تسمى « اسناداً خبرياً » .

● تعريف الاسناد :

فالاسناد الخبرى هو : « ضم كلمة الى أخرى على وجه يفيد أن مفهوم احدهما وهو « المحكوم به » ثابت أو منفى عن مفهوم الأخرى ، وهو المحكوم عليه » .

والنسبة بينهما تسمى : « اسناداً » وما زاد على ذلك من الفاظ فى الجملة غير المضاف اليه والصلة تعد قيوداً فى الجملة .

والمسند اليه أو المحكوم عليه هو : الفاعل ، ونائب الفاعل ، والمبتدأ الذى له خبر ، وما أصله المبتدأ .

والمسند أو المحكوم به هو : الفعل التام ، واسم الفعل (كهيئات ، ووى ، وآمين) ، والمصدر النائب عن فعله نحو : « سعيًا فى الخير »

والمبتدأ المكتفى بمرفوعه كقولك : « عارف » ، من قولك : « أعارف أخوك
قدر الانصاف » ، وخبر المبتدأ ، وما أصله خبر المبتدأ والقيود ، المفاعيل ،
والحال والتمييز ، والتوابع والنواسخ وأداة الشرط والنفي .

وتتضمن أحوال الاسناد الخبرى ثلاثة عناصر : أغراض الخبر ،
أضره ، والثالث : مجيء الاسناد الخبرى حقيقة أو مجازاً وهو ما يسمى
بالتجوز فى النسبة أو المجاز العقلى .

وسنتعرض لكل منها بالتفصيل ان شاء الله تعالى .

١ - أغراض الخبر

لذكر الخبر أمران : أولهما : قصد المخبر بخبره افادة المخاطب
اما نفس الحكم كقولك : « جاء الرئيس » لن لا يعلم أن الرئيس قد جاء ،
ويسمى هذا : « فائدة الخبر » .

الثاني : كون المخاطب عالما بالحكم ولكنه لا يعلم أن المتكلم يعلم ذلك
الحكم ويسمى هذا : « لازم فائدة الخبر » .

وكثيراً ما يخرج الخبر عن هاتين الفائدتين الى أغراض بلاغية أخرى :

١ - كإظهار الخشوع والضعف : كما فى قوله تعالى حكاية عن زكريا
عليه السلام : « رب انى وهن العظم منى » (١) .

٢ - وكالتغيب فى المسألة : كقوله تعالى : « واذا سألك عبادى عني
فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان » (٢) .

٣ - وإظهار التفاوت فى درجات العلم : كقوله تعالى : « هل يستوى
الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٣) .

٤ - وإظهار السرعة الشديدة مع القوة كما فى تشبيه أبى تمام :
طموح بأثناء الزمام كأنما يخال بها من عدوها طيف جنة (٤)

٥ - والممدح فى قول المتنبي يمدح كافورا :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمـران
ولله سر فى علاك وأنما كلام العدا ضرب من الهذيان (٥)

(٢) البقرة : ١٨٦ .

(١) مريم : ٤ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) ديوان أبى تمام ص ٦٠ ، والناقة الطموح : التى ترفع يديها

فى العدو .

(٥) ديوان المتنبي ج ٤/٢٤٣ .

وكقول الشريف الرضى يذم أناساً :

تركت أناساً لم يهشوا لمنة ولم ينقعوا غل الظماء الخوامس
على القرب فيهم أننى غير طامع ومنك على بعسد المدى غير آيس

وغير ذلك من الأغراض البلاغية التى تتنوع تبعاً لحال المتكلم ،
ويفهم ذلك من السياق ، وقرائن الأحوال ، ومرجع ذلك الى رهاقة الحس
والذوق الفنى الأدبى السليم .

٢ - أضرب الخبر

يقول البلاغيون ان المخاطب اذا كان خاليا ذهن عما تلقه اليه من اخبار ، فان الأسلوب يكون خالياً من التوكيدات + فاذا قلت مثلاً : « على ذهب الى المدرسة » فان المخاطب خالي ذهن تستقر هذه المعلومة في خاطره دون حاجة الى تأكيدات .

يقول الشاعر :

أتانى هواها قبل أن اعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكننا

ويسمى هذا الضرب من الخبر : « ابتدائياً » .

أما اذا كان المخاطب متردداً فى الخبر نفياً أو اثباتاً ، فانه يحسن تقوية الخبر بمؤكد واحد ليتمكن فى نفسه ، كقولك لضعيف الايمان : « ان الحق قوة » .

وكقوله تعالى : « ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (٦) .

ويسمى هذا الضرب من الخبر : « طلبياً » .

نوع ثالث من انواع الخبر يكون فيه المخاطب منكرا للخبر يعتقد خلافه ، وحينئذ يؤتى بأكثر من مؤكد وفقا لدرجة انكار المخاطب .

فيكون بمؤكدين كما فى قوله تعالى : « وانك لعلى خلق عظيم » (٧) فالقول الكريم مؤكد بان واللام .

وقوله تعالى : « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون + اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون + قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون + قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون » (٨) .

(٧) القلم : ٤ .

(٦) القلم : ٧ .

(٨) يس : ١٣ - ١٦ .

فقد أكد قوله تعالى : « انا اليكم مرسلون » بان واسمية الجملة .

وقوله تعالى : « ربنا يعلم انا اليكم مرسلون » بان واسمية الجملة والقسم ، وتقديم الجار والمجرور : « اليكم » ، على متعلقه « مرسلون » .
فهذا التقديم يفيد القصر ، فجاء الأسلوب بأكثر من مؤكد ، لأن انكارهم في تلك الحالة أشد .

والتأكيد (٩) كما يكون في الاثبات يكون في النفي أيضاً .

وبذلك يكون أضرب الخبر ثلاثة : « ابتدائياً ، طلبياً ، انكارياً » .

١ - ابتدائي : وفيه يلقي الكلام الى المخاطب خالى الذهن خالياً من التأكيد .

٢ - طلبى : يكون المخاطب فيه متردداً فى الحكم حينئذ يلقي اليه الكلام بمؤكد واحد .

٣ - انكارى : فيه يكون المخاطب منكراً للخبر ، حينئذ يؤتى فى الأسلوب بمؤكدتين أو أكثر حسب درجة الانكار قوة أو ضعفاً .



(٩) لتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها : « ان وإن ، لام الابتداء ، أحرف التنبيه ، القسم ، نونا التوكيد ، التكرار ، قد ، أما الشرطية ، إنما ، اسمية الجملة ، وضمير الفصل ، وتقديم الفاعل المعنوى » .

خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر

وقد يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر ، وذلك لأمر يضعها المتكلم في اعتباره ، يتنوع بمقتضاها جملة الخبر :

١ - فقد ينزل العالم بقائده الخبر ولازمه منزلة السائل أو المتردد ، إذا كان المخاطب غير عامل بما يعلمه .

كقولك لمن يؤذى أخاه : « هذا أخوك » . وكقولك للمسلم العالم بفريضة الزكاة ولا يخرجها : « الزكاة فريضة » . فانك تكون قد أنزلته منزلة خالي الذهن ، فإذا كان متردداً في إخراجها لزم التأكيد بمؤكد فتقول : « ان الزكاة فريضة » فإذا كان منكراً لها تقول : « ان الزكاة لفريضة » . فتأتي بأكثر من مؤكد فينزل بذلك منزلة المنكر .

ويرى الشيخ البناني أن : « خلو الذهن عن تصور الحكم ليس بشرط للاستغناء عن المؤكد ، فانه إذا تصور المخاطب الحكم ، ولم يتوجه الى حاله ، ولم يلتفت الى شيء وراء تصوره كان في حكم خالي الذهن » (١٠) . وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم ففي قوله تعالى : « ثم انكم يوم القيامة تبعثون » (١١) .

الناس يعلمون أنهم مبعوثون ، لكن لما كانوا في لهو ولعب وبعد عن الآخرة ، نزلهم الله تعالى منزلة المنكرين ، فجاء القول الكريم مؤكداً بان الجملة الاسمية .

يقول الامام الجرجاني (ت ٧٢٩ هـ) : « لم يؤكد البعث بغير تأكيد واحد ، وان اختلف فيه بخلاف المرت ، لعدم انكار المخاطبين اياه ، أو لأن الأمر والنهي ، والوعد والوعيد بعد تأكيد الاخبار بالموت يستلزم البعث ، فاستغنى عن زيادة التأكيد ، ولذلك قال أيضاً : « تبعثون » ولم يقل : « مبعوثون » لأن دلالة الفعل على حدوث المصدر ، ودلالة الاسم على ثبوته ، والثبوت أقوى من الحدوث » (١٢) .

(١٠) مختصر السعد ص ١٥٨ . (١١) المؤمنون : ١٦ .

(١٢) الاشارات والتنبيهات ص ٣١ .

٢ - وقد ينزل غير السائل منزلة السائل ، كقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شيء عظيم » (١٣) . فالتنبيه في قوله تعالى : « يا أيها الناس » ثم الأمر بالتقوى تحذير للناس مما قد يصيبهم اذا ما خالفوا الله تعالى ، ولم يخشوه ، فوجد في المقام ما يلوح بالخبر فكان هناك سؤالاً ضمناً يتساءله الناس ، فجاء القرآن الكريم بعد ذلك متضمناً الاجابة على هذا التساؤل الذي دار في أنفسهم بقوله تعالى : « ان زلزلة الساعة شيء عظيم » .

فالمخاطب منزل منزلة السائل لوجود ما يلوح له بنوع الخبر .
ومن ذلك ايضا قوله تعالى : « وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم » (١٤)
فالله سبحانه وتعالى ينزل الرسول ﷺ منزلة السائل لذا جاء القول مؤكداً بان .

وكذلك قوله تعالى : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا ، انهم مغرقون » (١٥) . والمعنى : « أى لا تدعنى ياندوح فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك فهذا كلام يلوح بالخبر تلويحاً ما ، ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام ان يتردد المخاطب فى انهم هل صاروا محكوماً عليهم بالاغراق أم لا ؟ ف قيل : « انهم مغرقون » مؤكداً بان واسمية الجملة » (١٦) . فصدر الآية كما ترى تلويحاً بنهايتها ، كما جاءت الاشارة ايضا الى خصوص الخبر فى سياق الآية فى قوله تعالى : « اصنع الفلك » .

ومن هذا النمط ايضا ما ذكره الكثير من البلاغيين قول الشاعر (١٧) :
فغنّها وهى لك الفداء ان غناء الابل الحذاء

(١٣) الحج : ١ . (١٤) التوبة : ١٠٣ .
(١٥) المؤمنون : ٢٧ : « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا ، انهم مغرقون » .
(١٦) مختصر السعد على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ص ١٦٤ ، ١٦٥ بتصرف ط سنة ١٣٤٧ هـ .
(١٧) لا يعلم قائله ، والضمير فى قوله « فغنّها » للابل أى فغن لها . والحذاء - بضم الحاء وكسرها - مصدر حدا ، وذلك اذا ساقها وغنى لها .

فالشاعر جعل المخاطب فى مقام المتردد لنوع غناء الابل ، فجاء
«قول مؤكداً بقوله : « ان غناء الابل الحداء » .

ومثله قول أبى نواس :

عليك باليأس من الناس ان غنى نفسك فى اليأس

٣ - ينزل غير المنكر منزلة المنكر : اذا ظهر عليه شئ من امارات
الانكار ، كقول الشاعر (١٨) :

جاء شقيق عارضاً رحمه ان بنى عمك فيهم رماح

فشقيق يعلم أن بنى عمه فيهم رماحاً لكن مجيئه هكذا مدلاً بشجاعته
وقد وضع رحمه عرضاً دليلاً على اعجاب شديد منه ، معتقداً انه لا يقوم
اليه أحد من بنى عمه كأنهم عزل ، ليس فيهم من يستطيع رده ولذا نزل
الشاعر منزلة المنكر ، وقد جاء الأسلوب بطريق « الالتفات » (١٩) من
الخطاب الى الغيبة على ما ذهب اليه السكاكى مؤكداً بان واسمية الجملة
فى قوله : « ان بنى عمك فيهم رماح » .

٤ - تنزيل المنكر منزلة غير المنكر اذا كان معه ما ان تأمله ارتدع
عن الانكار ، كقوله تعالى فى القرآن الكريم : « لا ريب فيه » (٢٠) ،
وكقوله تعالى : « والهمكم اله واحد » (٢١) ، وقوله تعالى : « وأن الساعة
آتية لا ريب فيها » (٢٢) .

يقول الخطيب القزوينى : « ومما يتنوع على هذين الاعتبارين :
(تنزيل غير المنكر منزلة المنكر ، وتنزيل المنكر منزلة غير المنكر)
قوله تعالى : « ثم انكم بعد ذلك لميئون * ثم انكم يوم القيامة تبعثون » (٢٣)
اكذ اثبات الموت تأكيداً ، وان كان مما لا ينكر ، لتنزيل المخاطبين
منزلة من يبالغ فى انكار الموت لتماديهم فى الغفلة والاعراض عن العمل

(١٨) الشاعر هو : حجل بن نضلة الباهلى .

(١٩) مختصر السعد ص ١٦٧ وما بعدها .

(٢٠) البقرة : ١٦٣ .

(٢١) البقرة : ٢ .

(٢٢) الحج : ٧ .

(٢٣) المؤمنون : ١٥ ، ١٦ .

لما بعده ، ولهذا قيل : « ميتون » دون « تموتون » ، وأكد اثبات البعث تأكيداً واحداً ، وإن كان مما ينكر ، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالإنكار . بل أما أن يعترف به أو يتردد فيه ، فنزل المخاطبون منزلة المترددين تنبيهاً لهم على ظهور أدلته وحثاً على النظر فيها ، ولهذا جاء « تبعنوز » على الأصل « (٢٤) » .

هذا ، ويعد ما ذكر في خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في حالة الاثبات يقاس عليه ، اعتبارات النفي . كقولك : ما زيد منطلقاً أو بمنطلق ، ووالله ليس زيد منطلقاً أو بمنطلق ، وما ينطلق زيد ، أو ما ان ينطلق زيد ، وما كان زيد ينطلق ، وما كان زيد لينطلق ، ولا ينطلق زيد . ولن ينطلق زيد ، ووالله ما ينطلق أو ما ان ينطلق زيد .

٣ - الحقيقة والمجاز العقليان

تعرضنا فى الموضوعات السابقة للحديث عن أغراض الخبر ثم أضربه وسنتحدث الآن بمشيئة الله تعالى عن القسم الثالث من أحوال الاسناد الخبرى وهو : الحقيقة والمجاز العقليين .

وقد انكر بعض البلاغيين كون المجاز العقلى من موضوعات علم المعانى ، ويذكر عندهم فى علم البيان كما نجد عند الامام السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) . بينما يذكره البعض الآخر فى علم المعانى باعتباره انه حال من أحوال الاسناد الخبرى أو النسبة الخبرية كما نجد ذلك عند الامام القزوينى (ت ٧٤٩ هـ) ومن بعده سعد الدين التفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) وغيرهما .

١ - تعريف الحقيقة : الكلمة المستعملة فيما هى موضوعه له من غير تأويل ، فلفظ « الأسد » موضوع له على سبيل الحقيقة دون تأويل .
والحقيقة تنقسم عند العلماء الى : لغوية ، شرعية ، عرفية .
فهى لغوية اذا كان صاحب وضعها واضع اللغة .
وشرعية اذا كان صاحب وضعها الشارع .
وعرفية اذا كانت جارية على سبيل عرف جرت به العادة .

٢ - تعريف المجاز اللغوى : الكلمة المستعملة فى غير ما هو له فى الحقيقة . وسمى المجاز مجازاً لجهة التناسب لأن المجاز مفعول من جاز المكان يجوز .

والمجاز عند البلاغيين قسمان ، لغوى : ويقع فى المفردات ، وعقلى يقع فى الاسناد ، وسمى الاسناد فى هذين القسمين عقلياً لاستناده الى العقل دون الوضع ، لأن استناد الكلمة الى الكلمة شئ يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة .

أما المجاز اللغوي فميدانه الاستعارة والمجاز المرسل ، ويبحثان
فى علم البيان .

أما المجاز فى الاسناد أو المجاز العقلى فيبحث ضمن فنون علم
المعانى .

والاسناد منه حقيقة عقلية ، ومنه مجاز عقلى .

والحقيقة العقلية كما يراها صاحب المختصر : « اسناد الفعل أو معناه
(كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم
التفضيل ، والظرف) الى شئ يكون الفعل أو معناه له » .

وذلك كقوله تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون » الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء
وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم « (٢٥) .
ففى القول الكريم أسند الفعل « خلق » ، و « انزل » ، و « أخرج » الى
الفاعل الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى على سبيل الحقيقة .

وكذلك قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء
وتتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ،
انك على كل شئ قدير » تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ،
وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء
بغير حساب « (٢٦) .

فاسم الفاعل : « مالك » ، والأفعال : « تؤتى » ، « وتنزع » ، « وتعز » ،
« وتذل » ، « وترزق » كلها أفعال مسندة الى الفاعل الحقيقى وهو
الله سبحانه وتعالى . فهذا حقيقة عقلية . وقد أضاف الخطيب القزوينى
على التعريف السابق قوله : « فى الظاهر » (٢٧) وذلك ليشمل ما لا
يطابق اعتقاده ، مما يطابق الواقع ، وما لا يطابقه .

(٢٥) البقرة : ٢١ ، ٢٢ . (٢٦) آل عمران : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢٧) البغية ج ١ / ٥٥ وما بعدها

● صور الحقيقة العقلية عند الخطيب القزويني :

١ - ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن : أنبت الله البقل ،
وشفى الله المريض .

٢ - ما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله
وهو يخفيها : خالق الأفعال كلها هو الله تعالى .

٣ - ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل : شفى الطبيب
المريض ، معتقداً أن الطبيب هو الذى يشفى . وكقول الله تعالى حكاية
عن بعض الكفار « وما يهلكنا الا الدهر » (٢٨) . فهم يعتقدون أن مهلكهم
هو الدهر حقيقة .

٤ - ما لا يطابق شيئاً منهما ، كالأقوال الكاذبة التى يكون القائل
عالماً بحالها دون المخاطب ومرد ذلك كله الى الواقع وحده . كما سبق
فى أحوال الاسناد الخبرى .

● تعريف المجاز العقلى :

هو « اسناد الفعل أو ما فى معناه الى ملابس له غير ما هو له
بتأول » .

سبق أن ذكرنا أن معنى الفعل : كاسم الفاعل ، أو اسم المفعول أو
المصدر .. الخ .

قوله : « الى ملابس له » أى تكون هناك علاقة أو رابطة أو صلة
بين الفعل وفاعله المجازى . وتلك الملابس من جهة وقوعه فيه أو عليه
أو به أو نحو ذلك .

فالفاعل يلبس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ،
والمكان ، والسبب ...

قوله : « الى غير ما هو له » أى اسناد الفعل الى غير فاعله الحقيقى .

(٢٨) الجائبة : ٢٤ .

« بتأول » أى بوجود قرينة تشير الى المعنى المجازى وتمنع من ارادة المعنى الحقيقى .

ويذكر الخطيب القزوينى ان قولنا : « بتأول » يخرج نحو قول الجاهل : « شفى الطبيب المريض » فان اسناده الشفاء الى الطبيب ليس بتأول ، ولذا لم يحمل نحو قول الشاعر الحماسى :

أشباب الصغير وأفننى الكبد ركر الغداة وممر العشى

على المجاز ما لم يعلم أو يظن أن قائله لم يرد ظاهره .

* * *

قرينة المجاز العقلي

التأول عند الخطيب القزويني : هو القرينة

وتنقسم القرينة قسمان : قرينة لفظية ، ومعنوية .

١ - القرينة اللفظية : التي يذكر بلفظها في الكلام فيصرف الاسناد عن ظاهره . وتشير بذلك الى المعنى المجازي . وذلك كقول أبي النجم العجلي :

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنباً كله لم اصنع
من أن رأيت رأسى كراس الأصلح ميز عنه قنزعاً عن قنزع
جذب الليالى أبطئى أو أسرعى

أفناه قيل الله للشمس اطلعى حتى اذا وارك أفق فارجعى

يقول الشاعر : ان زوجته أم الخيار تدعى عليه ذنباً لم يكن له ذنب فيه وهو أن شعره قد ظهر به الشيب ، ثم يذكر الشاعر السبب في ذلك ، وهو توالى الأيام ، ومر الليالى . فالاسناد في قوله : « ميز » الى « جذب الليالى » مجازاً عقلياً حيث أسند الفعل الى الزمن أو السبب ، والقرينة التي تشير الى أن هذا الاسناد على سبيل المجاز وليس الحقيقة قوله : « قيل الله » . ومثله قول الصلتان العبدى :

أشباب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى
نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى
الم تر لقمان أوصى ابنه وأوصيت عمراً ، ونعم الوصى
فملتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبي

فالشاعر قد أسند المفعولين : « أشباب » ، و « أفنى » الى « كر الغداة » ، و « مر العشى » وهما السبب أو الزمن . وهذا من الاسناد المجازي

- العقلی ، الذی یشیر الی ذلک القرینة وهی قوله : « اننا مسلمون » .
- فجاء قوله هذا علی سبیل المجاز العقلی وعلاقته الزمنية أو السببية .

٢ - القرينة المعنوية : وهی التي تصرف الاسناد عن ظاهره ، ويستدل عليها من استحالة صدور الفعل من فاعله الحقيقي أو قيامه به عقلا أو عادة .

فمما يستحيل صدوره عقلا قولك : محبتك جاءت بی اليك . فمن الواضح استحالة قيام المجيء بالمحبة ، ومجيئها عادة كقولك : بنی الرئيس المدينة ، وكسا الأمير الكعبة . ومن انواع القرينة العقلية : صدور الكلام من الموحد كقول الرسول ﷺ : « ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم » حبطاً : أى انتفاخاً ، فاسناد فعل الانبات الى الربيع اسناداً مجازياً ، لأن المتحدث الرسول ﷺ ، وهو يعتقد يقيناً أن الذی ينبت هو الله سبحانه وتعالى .



اقسام المجاز العقلى باعتبار طرفيه

يقسم المجاز العقلى باعتبار طرفى الاسناد اربعة اقسام :

١ - اما حقيقتان لغويتان كقولك : « انبت الربيع البقل » .

وكقول الشاعر :

لقد لمتنى يا أم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم (٢٩)

والشاهد فى قوله : « وما ليل المطى بنائم » - حيث استعمل كل من الطرفين فى حقيقته .

وقوله :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كبر الغداة ومر العشى

ففى اسناد الفعل « أشاب » ، و « أفنى » الى « كبر الغداة » ، و « مر العشى » كل من المسند اليه والمسند مستعملان فيها وضع له لكن التجوز فى الاسناد ، لأن الذى يشيب الصغير ويفنى الكبير ليس هو توالى الأيام والليالى ، ذلك لأن المتحدث مسلم ، ولا يعتقد ذلك على سبيل الحقيقة لأنه يعتقد ويعلم يقيناً أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقى يقول للشئ كن فيكون .

ومثله قول الفرزدق :

يحمى اذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تطير له السواعد أرعلا

أى أنه فى حالة الحرب والنزال الشديد ، يحمى نساءهم ضرب قوى سريع من فرسانهم تطير له السواعد . فالطرفان : « يحمى » ، و « ضرب » مستعملان فى معنييهما الحقيقيان .

(٢٩) السرى : السير ليلا ، والمعنى : أنه لا يقطع السير بالليل

ولا ينام .

٢ - الطرفان مجازيان : مثل قولك : « أحيا الأرض شباب الزمان » .
« أحيا » أى أنبت ، و « شباب الزمان » مستعار لوقت الربيع . فلما كان الربيع هزّ الزمن الذى يعاد فيه شباب الأرض ونضارتها ، لذا جاز أن يسند الفعل « أحيا » الى « شباب الزمان » ، على سبيل المجاز العقلى علاقته الزمانية .

٣ - وأما مختلفان بأن يكون المسند حقيقة لغوية ، والمسند اليه مجازاً لغوياً كقولك : « أنبت البقل شباب الزمان » فالمسند اليه « شباب الزمان » مجازاً لغوياً ، و « أنبت » لفظ مستعمل فى معناه الأسمى . والعلاقة السببية .

٤ - وأما المسند مجازاً لغوياً ، والمسند اليه حقيقة :

كقول المتنبى :

وتحيى له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيى التبسم والجدا

فالشاعر يصف ممدوحه بأنه يمكنه الحصول على المال بالصوارم والرماح ، وأنه لا يبخل على من يرجوه منه . فالمسند : « تحيى » ، و « يقتل » حقيقتان لغويتان .

والمسند اليه : « الصوارم » ، و « القنا » ، و « التبسم » ، و « الجدا » كلاهما مستعمل فيما وضعاه ، والمجاز فى اسناد الاحياء الى « القنا » ، والقتل الى « التبسم » و « الجدا » والمجاز عقلى علاقته السببية .

علاقات المجاز العقلى

١ - الفاعلية :

وتتحقق باسناد المبنى للمفعول الى الفاعل . كقوله تعالى :
« جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب ، انه كان وعده مأتيا » (٣٠)
فالاصل فى القول الكريم : « وعدا مأتيا صاحبه » ، لأن الوعد لا يأتى ،
وانما يأتى صاحبه .

وكذا قوله تعالى : « واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » (٣١) واصل القول الكريم :
« حجابا ساترا » أو « مستورا صاحبه به » ومن ذلك أيضا : « سيل مفعم »
بفتح العين ، فالسيل هو الذى يملأ المكان فيكون المكان هو الذى يفعم ،
لكن جاء القول : « سيل مفعم » على سبيل المجاز علاقته الفاعلية .

٢ - المفعولية :

وتتحقق بأن يسند الفعل المبنى الى الفاعل أو ما فى معنى الفعل
المبنى للفاعل الى المفعول به ، كقوله تعالى : « فأما من ثقلت موازينه *
فهو فى عيشة راضية » (٣٢) . فالعيشة فى الحقيقة تكون مرضية ،
وليس راضية ، وانما الراضى صاحبها .

فالله سبحانه وتعالى أسند « الرضا » الى ضمير العيشة على سبيل
المجاز العقلى ، ليفيد أنه ليس فقط الانسان الذى رضى وانما أيضا العيشة
ذاتها ، فالمبالغة أفادت معنى الرضا التام .

ومثله قوله تعالى : « خلق من ماء دافق » (٣٣) فمعنى الفعل :
« دافق » اسم فاعل .

أسند الى ضمير المفعول « الماء » لعلاقة المفعولية ، لأن الماء
يكون مدفوقا وليس دافقا .

-
- | | |
|------------------------|---------------------|
| (٣٠) مريم : ٦١ . | (٣١) الاسراء : ٤٥ . |
| (٣٢) القارعة : ٦ ، ٧ . | (٣٣) الطارق : ٦ . |

ومثل ذلك قول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فانك انت الطاعم الكاسى
فالشاعر يهجو الزبرقان بن بدر ، ويقول له : انك لست أهلا لمعالى
الأمور ، فاقعد فى دارك دون سعى . فقد أسند الشاعر : اسما الفاعل :
الطاعم ، والكاسى ، وفيهما معنى الفعل الى ضمير المفعول به ، وهو
الزبرقان ، وحقيقة الكلام : « فاقعد فانك انت المطعوم المكسو » لانه ليس
أهلا لطلب السعى ، لكنه عدل عن ذلك وعبر باسم الفاعل لعلاقة المفعولية .

٣ - الزمانية :

وتتحقق بأن يسند الفعل أو ما فى معناه الى الزمان .
كقوله تعالى : « فكيف تنتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان
شيباً » (٣٤) .

أسند الفعل « يجعل » الى ضمير اليوم ، والذى سوغ ذلك
وقوع الفعل فى هذا الزمن .

وقول الشاعر :

هى الأيام كما شاهدها دول من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابعة . واذا نبت مشرفيات وخرسان
أسند الفعل « سره » ، و « ساءه » الى « الزمن » وليس الزمن
فى الحقيقة الذى يسر أو يسوء ، وانما الفاعل الحقيقى هو الله سبحانه
وتعالى الا أنه عدل عن اسناد الفعل الى فاعله الحقيقى الى الفاعل
المجازى على سبيل المجاز وعلاقته الزمانية فأفاد المبالغة .

يقول صاحب المطول : « نسب الفعل الى الزمان وهو لله تعالى

(٣٤) المزمل : ١٧ .

حقيقة ، وهذا كناية عن شدته ، وكثرة الهموم والأحزان فيه ، لأن الشيب مما يتسارع عند تفاقم الشدائد والمحن أو عن طوله ، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة « (٣٥) .

وكما تقع هذه الملابس في الإثبات فإنها تقع في النفي أيضا من ذلك قول جرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

فقد أسند اسم الفاعل « نائم » الى ضمير « الليل » وهو مجاز عقلي علاقته الزمانية ذلك لأن الليل لا ينام ، وإنما ينام الناس فيه ، فهو منوم فيه

٤ - المكانية :

وتتحقق بأن يسند الفعل أو ما في معناه الى مكانه . كقوله تعالى :
« أو لم نمكن لهم حرماً آمناً » (٣٦) . حيث أسند « الأمن » الى « الحرم » على سبيل المجاز العقلي علاقته المكانية لأن الحرم آمن أهله فيه ، وليس المكان الأمن ، فالأسناد المجازي أفاد المبالغة .

وكقوله تعالى : « وأخرجت الأرض أثقالها » (٣٧) فقد أسند الإخراج الى الأرض على سبيل المجاز ، والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ، لكن أمكن أسناد الإخراج الى الأرض ، لأنه المكان الذي يخرج منه الموتى .

ومثله قولك : « نهر جار » ، و « طريق سائر » أسند « جار » و « سائر » وهما اسما فاعل أى فى معنى الفعل ، فأسند الى المكان - « النهر » ، « الطريق » وهذا من قبيل المجاز العقلي ، وعلاقته المكانية ذلك لأن النهر ، والطريق لا يجرى ولا يسير ، وإنما الفى يجرى في الماء ، والذي سوغ ذلك هو علاقة المكانية .

٥٨

- (٣٥) المختصر ج ١/١٨٩ . (٣٦) القصص : ٥٧ .
(٣٧) الزلزلة : ٢ .

٥ - السببية :

وتتحقق بأن يسند الفعل أو ما فى معناه الى سببه .

كقوله تعالى : « واذا تلّيت عليهم آياته زادتهم إيماناً » (٣٨)
فتلاوة الآيات الكريمة ، ليست السبب الحقيقى للإيمان ، وإنما سبب
فى زيادته ، لذا أمكن أن يسند الفعل ' زادتهم ' الى « الآيات » على
سبيل المجاز العقلى علاقتة السببية .

يقول الخطيب القزوينى : « نسبت الزيادة التى هى فعل الله الى
الآيات لكرنها سببا فيه » (٣٩) .

ومثله قوله تعالى : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » (٤٠) .
فالذكرى سبب فى نفع المؤمنين .

وكقوله تعالى : « ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً
يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم » (٤١) فقد أسند ضمير الفعل « يذبح »
الى « فرعون » ، وليس فرعون الفاعل الحقيقى ، وإنما هو يأمر أعوانه
وجنده ، وجاء الاسناد على سبيل المجاز العقلى ، وعلاقته السببية .

يقول الخطيب القزوينى : « الفاعل غيره ، ونسب الفعل اليه
لكونه الأمر به » (٤٢) .

ومثله قول المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

يريد أن يقول : ان الحزن والهم ، يجعل الجسم نحيفاً ، ويشيب
راس الصبى ويصيبه بالهرم . فأسند الشاعر الفعل « يخترم » ،

-
- (٣٨) الانفال : ٢ . (٣٩) بغية الايضاح ج ٦٥/١
(٤٠) الذاريات : ٥٥ . (٤١) القصص : ٤ .
(٤٢) بغية الايضاح ج ٦٥/١ .

و « يشيب » الى ضمير «الهم» على سبيل المجاز العقلى ، وعلاقته السببية ،
لأن الهم والحزن ليس الفاعل الحقيقى ، وانما سبب فيه ، والفاعل الحقيقى
هو الله سبحانه وتعالى .

٦ - المصدرية :

وتتحقق باسناد الفعل أو ما فى معناه الى المصدر . كقولك :
«جد جده ، وشعر شعره » ، حيث أسند الفعل ليس الى فاعله الحقيقى ،
وانما الى مصدره .

وكقول أبى فراس الحمدانى :

سيذكرنى قومى اذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفترق البدر
فأسند الفعل « جد » الى المصدر « جدهم » بينما الفاعل الحقيقى
« هم » فاعلوا الجد .

المجاز العقلى فى النسب الانشائية والمنفية

فالمجاز العقلى كما يرد فى الاثبات يجرى فى النفى ايضا ،
كقوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم » (٤٣) . حيث أسند الفعل « ربح » الى « التجارة » على سبيل المجاز العقلى فى صيغة النفى .

وكما يجرى المجاز العقلى فى الخبر يجرى فى الانشاء . كقوله تعالى : « ياهايمان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب » (٤٤) ففى اسناد الفعل « ابن » الى « هيمان » على سبيل المجاز العقلى وعلاقته السببية قد وقع فى صيغة الانشاء ، ذلك لأن الفعل « ابن » فعل امر طلبى انشائى .

ومثله قوله تعالى : « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آبائنا » (٤٥) فالفعل « تأمرك » مسند الى السبب وهو ضمير الصلاة على سبيل المجاز العقلى وعلاقته السببية ، والجملة من النوع الانشائى لكون الأسلوب فى صيغة استفهام .



(٤٤) غافر : ٣٦ .

(٤٣) البقرة : ١٦

(٤٥) هود : ٨٧ .

المجاز العقلى فى النسب الاضافية والايقاعية

وكما يأتى المجاز العقلى فى الجملة الاسمية ، كذلك يأتى فيما بين المضاف والمضاف اليه ، أى فى النسبة الاضافية . وذلك كقوله تعالى : « وان خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما » (٤٦) .

وقوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا » (٤٧) فى القول الكريم الأول : أضيف « الشقاق » الى « البين » وهو ظرف على سبيل المجاز العقلى علاقته الزمانية ، فأضيف المصدر الى غير ما حقه ان يضاف اليه .

وفى القول الثانى : نجد المصدر « مكر » قد أضيف الى غير ما حقه ان يضاف اليه وهو « الليل » ، و « النهار » وهذا زمان . وجاز الاسناد على سبيل المجاز علاقته الزمانية ، وكان الأصل ان يقال : مكر الناس فى الليل والنهار ، ولكن عدل الله سبحانه وتعالى عن ذلك ليفيد المبالغة الشديدة فى استمرارهم فى مكرهم وعنادهم وكفرهم .

● وفى النسبة الايقاعية :

يكون التجوز فى ايقاع الفعل على غير ما حقه ان يوقع عليه . فالفعل المتعدى واقع على مفعوله المجازى أى ينصب غير مفعوله الحقيقى لعلاقة مع قرينة مانعة من ايقاع الفعل على مفعوله الحقيقى ، ولذلك سميت نسبة ايقاعية . كقوله تعالى : « ولا تطيعوا امر المسرفين » (٤٨) فالأصل فى القول : « ولا تطيعوا المسرفين فى أمرهم » فأسند الفعل : « تطيعوا » الى السبب « الأمر » ، وحقيقته ان تقول : « لا تطيعوا الناس فى أمرهم » ، لكن جاء الاسناد الى السبب على سبيل المجاز العقلى علاقته السببية .

• (٤٧) سبأ : ٣٣

• (٤٦) النساء : ٣٥

• (٤٨) الشعراء : ١٥١

وستعرض بمشيئة الله تعالى : لأحوال المسند اليه أولاً ثم المسند ،
لأنه الركن الأساسى فى الجملة ، ولأنه كما يقول العلامة البنائى :
« عبارة عن الذات ، والمسند كالوصف له ، والذات أقوى فى الثبوت
من الوصف ، ولأن الدال منهما على الذات أشد فى الحاجة عند قصد
الافادة من الدال على الوصف ، لأن الحاجة الى المضاف اليه المعروض
أشد من الحاجة الى المضاف العارض » (٤٩) .



الفصل الثاني

أحوال المسند اليه

ذكرت أن المسند اليه هو الركن الأول في تكوين الجملة ويسمى المحكوم عليه ، فهو المبتدأ أو الفاعل ونائبه ، أو اسم كان ، أو اسم ان ، أو المفعول الأول من باب ظن وأخواتها . والمسند اليه الأصل فيه أن يذكر في الجملة ، فإذا ما عمد المتكلم الى حذفه أو تقديمه في موضع ، أو تأخيرها ، أو تعريفه ، أو تنكيره ، فإنه يفعل ذلك للتعبير عن شيء ما في نفسه يريد للمخاطب أن يصل اليه . وتلك الأحوال يسميها البلاغيون أحوال المسند اليه والتي ستعرض لمعالجتها الآن بمشيئة الله تعالى .

١ - أحوال حذف المسند اليه

تعرض البلاغيون لمواضع حذف المسند اليه قبل التعرض لمواضع ذكره لأن حذفه معناه عدم ذكره ، والعدم متقدم على الوجود . ويشترط البلاغيون لمواضع الحذف أن يكون هناك قرينة دالة على وجوده ، فيكون السامع عارفاً به ، وكذلك لابد من وجود مرجح لحذفه عن ذكره . فيعد من العبث ذكر المسند اليه مع وجود قرينة تدل عليه ، لذا يحذف للاحتراز عن العبث ، وهذا ليس من قبيل الحقيقة لكنه بناء على الظاهر فقط . لأن المسند اليه الركن الأصلي في الجملة .

يقول السعد التفتازاني : « على أن المسند اليه هو الركن الأعظم الشديد الحاجة اليه ، حتى انه اذا لم يذكر فكأنه أتى به ثم حذف » (١) .

فمن المواضع التي يحذف فيها المسند اليه :

١ - للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر لدلالة القرينة كقول الشاعر (٢) :

(١) مختصر السعد ج ١/٢٠٠ وما بعدها .

(٢) هو : أبو حزابة الوليد بن حنيفة التميمي شاعر أموى تحضر وسكن البصرة (ت ٨٣ هـ) . وابن ناشرة هو : عبد الله . والحنظلي نسبة الى حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم .

الا لا فتى بعد ابن ناشرة الفتى ولا عرف الا قد تولى وأدبرا
فتى حنظلي ما تزال ركابه تجود بمعروف وتنكر منكرا

• اى : هو فتى •

وكقول الشاعر (٣) :

سأشكر عمراً ان تراخت منيتى اياى لم تمنن وان هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
راى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى فى عينيه حتى تجلت
والأصل أن يقول : هو فتى •

٢ - قد يكون الحذف أيضاً لتخيل العدول الى اقوى الدليلين من العقل واللفظ •

فعند ذكره يعتمد على دلالة اللفظ من حيث الظاهر ، وعند الحذف
يعتمد على دلالة العقل ، وهو اقوى لافتقار اللفظ اليه • ولأن العقل
يمكن أن يدرك به بدون توسط لفظ •

وذلك كقول الشاعر :

قال لى كيف أنت قلت عليل ، سهر دائم وحزن طويل
لم يقل : أنا عليل • للاحتراز والتخيل السابقين • فذكر الضمير
« أنت » يغنى عن ذكر المسند اليه « أنا » فذكره يعد عبثاً ، اعتماداً
على ما يفهم من الدلالة العقلية •

٣ - يحذف المسند اليه تحقيراً له ولا يهام صون اللسان عن ذكره •

نحو قول الأقيشر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس الى داعى الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما فى بيته بمضيع

(٣) هو : عبد الله بن الزبير (بفتح الزاى) • الأسدى • والأبيات
قالها فى رثاء عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما •

والتقدير : « هو سريع » ، و « هو حريص » فحذف المسند اليه تحقيراً له . فقد كان الشاعر قد ذهب لابن عم له موسر ، فلما سألته فمّنه وقال له : كم أعطيك مالى ، وأنت تنفقه فيما لا يعينك ، والله لا أعطيك . فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم وهو فيهم ، فشكاه الى القوم ، وذمه ، فوثب اليه ابن العم ، فلطمه ، فأنشأ يقول هذه الأبيات .

يقول الامام عبد القاهر : « فتأمل هذه الأبيات كلها ، واستقرها واحداً ، واحداً ، وانظر الى موقعها فى نفسك ، والى ما تجد من اللطف ، والظرف ، اذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم قلبت النفس عما تجد ، وألطفْتَ النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه الى لفظك ، وتوقعه فى سمعك ، فانك تعلم أن الذى قلت ، كما قلت ، وأن رب حذف هو ثلاثة الجيد ، وقاعدة التجويد » (٤) .

٤ - كما يحذف المسند اليه لتعظيمه : كقولك : « نعم الصديق » تقصد أبى بكر رضى الله عنه .

وكقوله تعالى : « وما أدراك ما هيه » نار حمامية » (٥) . أى : هى نار .

وكقوله تعالى : « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » (٦) أى هم الكافرون فلم يذكر المسند اليه ، صوناً للسان عن ذكر أسمائهم .

٥ - كما يحذف لأن الخبر لا يصلح الا له حقيقة : كقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٧) يقصد الله سبحانه وتعالى .

أو ادعاء : كقولك : « الصديق الصدوق » تقصد أبى بكر الصديق ، فكان المصدق قد بلغ به مبلغاً عظيماً ، وكقولك : « أمير الشعراء » ، تقصد الشاعر أحمد شوقى ، فكانه ملك زمام الشعر حتى صار فيه أميراً لشعراء عصره .

٦ - أو لأن الاستعمال وارد على تركه ، أو ترك نظائره . كقولك : « نعم الرجل زيد » على رأى من يرى الكلام : « نعم الرجل هو زيد » .

-
- (٤) دلائل الاعجاز ص ٩٩ . (٥) القارعة : ١٠ ، ١١ .
(٦) البقرة : ١٨ . (٧) الرعد : ٩ .

وكالمثل القائل : « شنشنة أعرفها من أخزم » . الشنشنة : الطبيعة
والعادة . والأخزم ابن قائل المثل . وكان عاقاً لأبيه ، فلما توفي - ،
جاء أبناؤه فتواثبوا على جدهم حتى أدموه فقال :

ان بنى ضرجونى بالدم شنشنة أعرفها من أخزم
- قصار مثلاً يضرب لمن صدر منه ما ليس أهلاً للصدور منه .

أو ترك نظائره ، كما فى رفع النعت المقطوع فى المدح كقولك :
« الحمد لله الشكور » برفع الشكور . والتقدير : الله الشكور . والرفع
على الذم كقولنا : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . بالرفع :
أى هو الرجيم .

أو الرفع على الترحم ، كقولنا : « اللهم ارحم عبدك المسكين »
أى هو المسكين . فالرفع على هذه الأوجه يوجب الحذف (٨) .

ويذكر صاحب الأطول : « أن الحذف هنا للاحتراز عن مخالفة
القياس ، أو من ضعف التأليف فهو من متعلقات البلاغة التى مرجعها
غير علم البلاغة ولا تعلق له بمقتضى الحال الذى هو من وظيفة
علم المعانى » (٩) .

٧ - وقد يحذف المسند اليه حالة كونه فاعلاً ، وأسند الفعل الى
النائب عن الفاعل .

كقول النابغة الذبياني :

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زار من الأسد
فحذف الفاعل : « الشاعر » خوفاً عليه .

ومن ذلك قوله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سيماء
أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى ، وقيل بعدا
للقوم الظالمين » (٩) .

(٨) المختصر ج ٢٠٤/١ ، (*) المرجع السابق ج ٢٠٤/١ .

(٩) هود : ٤٤ .

فالفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى فلما كان معلوماً لأنه سبحانه وتعالى الخالق القادر ، فقد أسند الفعل المبني للمجهول لنائب الفاعل ، لأن القصد هو الإشارة الى سرعة استجابة الأرض والسماء والماء لأوامر الله سبحانه وتعالى .

٨ - كما يحذف المسند اليه لضيق المقام بسبب ضجر أو سامة أو خوف فوات فرصة كقولك لصديقك : « عدوك » تقصد : هذا عدو . وكقول الشاعر :

قال لى كيف انت قلت عليل ، سهر دائم وحزن طويل

٩ - كما يحذف المسند اليه للمحافظة على وزن أو قافية أو سجع أو ما أشبه ذلك : « فمن المحافظة على الوزن كما فى البيت السابق : قال لى كيف أنت فلو قال : « أنا عليل » لفات الوزن .

ومن القافية قول لبيد :

وما المال والأهلون الا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع
فانه لو قال : « أن يرد الناس الودائع » فانت القافية .

ومن السجع قولك : « من طابت سريرته ، حمدت سيرته » .
فانه لو قال : « حمد الناس سيرته » فات السجع (١٠) .

١٠ - وقد يكون الحذف للاخفاء عن غير السامع من الحاضرين كقولك : « جاء » تقصد شخصاً بعينه ، فلا تذكر اسمه خشية أمر ما .
« وقد يحذف المسند اليه للأغراض سوى ما ذكر باعتبار المقامات التى يذكر فيها ، ولا يهتدى الى أمثالها الا العقل السليم والطبع المستقيم » (١١) .

(١٠) المختصر ج ٢٠٣/١ . (١١) المفتاح ص ٧٦ .

٢ - ذكر المسند اليه

١ - يذكر المسند اليه لأنه الأصل في الجملة ، ولا مقتضى للعدول عنه ، الا اذا كان هناك داع من الدواعي التي ذكرت في مواضع الحذف السابقة ، فان لم يكن ، فلا بد من ذكره ، كقوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك » (١٢) .

٢ - وقد يذكر للاحتياط لضعف التعويل على القرينة اما لخفائها ، او لعدم الوثوق بذكر السامع ، فيلجأ المخاطب الى ذكره اما لبعد العهد بذكره ، فيخشى أن يكون السامع قد غفل عنه ، كقولك : « حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ » . في موقف يكون الحديث فيه عن كثيرين غيره من الشعراء المسلمين ، فيذكر اسم الشاعر « حسان » لضعف التعويل على القرينة لخفائها .

او يكون للتنبيه على غباوة السامع كقول الله تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (١٣) . لمن يكابر من المنافقين وينكر الرسالة .

وكقول الفرزدق يهجو جريراً :

اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

٣ - زيادة الايضاح والتقرير ، وزيادة تثبيته في ذهن السامع ، كقوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (١٤) . فالتكرار في قوله تعالى : « أولئك » يفيد التأكيد والايضاح .

وكقول عمرو بن كلثوم :

وقد علم القبائل من معد اذا قبيب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون اذا قدرنا وأنا المهلكون اذا ابتلينا

• (١٣) آل عمران : ١٤٤

• (١٢) آل عمران : ٢٦

• (١٤) البقرة : ٥

وانا المانعون اذا اردنا وانا النازلون بحيث شينا
وانا التاركون اذا سخطنا وانا الآخذون اذا رضينا
فتكرر المسند اليه : « أنا » لزيادة الايضاح والتقرير .

٤ - بسط الكلام والاطناب فيه : كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « وما تلك بيمينك يا موسى » قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى » (١٥) فذكر المسند اليه « هي » وكان يمكن أن يكتفى به لكنه زاد « عصا » ليطيل مقام الحديث مع الله سبحانه وتعالى ليزداد شرفاً وعلواً ، وزاد كذلك فى منافعتها ، وكل هذا لأن الكلام مع رب العزة .

٥ - وقد يطلب بسط الكلام لغير ذلك من مقامات المدح والرثاء والفخر أو التعجب . فالفخر كما فى قول الشاعر :

فعباس يصد الخطب عنا وعباس يجير من استجارا
وفى التعجب كقولك : الجندى هزم العدو .

٦ - واما لاطهار تعظيمه ، كقوله تعالى : « قل هو الله أحد » (١٦) وكقوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (١٧) .

٧ - أو لاهانتة كقولك : « اللص قادم » .

٨ - أو لاستلذاذه : كقولك : « الله خالق كل شيء والله رازق كل حي » .

وكقول الشاعر :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر
٩ - أو للتبرك بذكر اسمه كقولك : محمد رسول الله ، وإبراهيم الخليل أبو الانبياء .

(١٥) طه : ١٧ ، ١٨ . (١٦) الاخلاص : ١ .
(١٧) الفتح : ٢٩ .

١٠ - لفائدة التخصيص : يقول السكاكى : « واما لكون الخبر عام
النسبة الى كل مسند اليه والمراد بتخصيصه بمعين كقولك : « زيد جاء ،
وعمرو ذهب » .

وكقول الشاعر (١٨) :

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع

١١ - وقد يكون للتسجيل على السامع حتى لا يكون له سبيل الى
الانكار .

من ذلك قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك عندما سأل عن ابن الحسين
رضى الله عنهما ، وكان الناس يجلوونه :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا

هذا وهناك أغراض أخرى تتعدد وفقاً لغرض المتكلم مما يقصر
عنه المقام .

(١٨) هو : خويلد بن خالد المعروف بأبى ذؤيب الهذلى .

٣ - تعريف المسند اليه

الأصل فى المسند اليه أن يكون مذكوراً ، كذلك اذا كان القصد من الكلام افادة السامع فائدة يعتد بها ، وكان فى تعريفه اقوى ، وجب تعريفه وهذا ما سمي من قبل : بـ « فائدة الخبر » او « لازم فائدة الخبر » .

والتعريف قد يكون بالاضمار او بالعلمية او بالموصولية او باسم الاشارة ، او معرفاً بـ « ال » او باللام المضافة الى المعارف اضافة حقيقية ، او ما زاد على ذلك من كونه مصحوباً بشيء من التوابع الخمسة .
وستعرض الآن ان شاء الله تعالى بالتفصيل لتلك المواضع :

التعريف بالاضمار

يعرف المسند اليه بالاضمار وانواعه ثلاثة : تكلم ، خطاب ، غيبة .
١ - فى مقام التكلم : كقوله تعالى : « وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون » (١٩) .

وكقول بشار :

انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بى الشمس للقاصى وللدانى
فقد أتى بالمسند اليه معرفاً بضمير المتكلم « انا » . للفخر .
وكقول النبى ﷺ :

« انا النبى لا كاذب انا ابن عبد المطلب »

فالمقام يقتضى ذكر المسند اليه « انا » وذلك لتذكير المسلمين بالرسالة وصدق النبوة ، فيستعيدون قدرتهم على القتال رغم كثرة الكفار .

(١٩) الحجر : ٢٣ .

٢ - ضمير الخطاب :

وقد يأتى التعريف بضمير الخطاب ليقصد به مخاطبا واحدا بعينه .
كما جاء فى قول الله تعالى : « أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ » (٢٠) ،
وكقوله تعالى مخاطبا عيسى عليه السلام : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى
وَأُمَى الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » (٢١) .

وقد يخاطب الجمع كما جاء فى قول الله تعالى : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونِ .
أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ » (٢٢) . ولعل السرف فى تعيين الخطاب
ان الكلام يكون موجها لحاضرا .

وقد يخرج الخطاب عن كون المراد به معينا فيأتى على سبيل
العموم ، كقوله تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ » (٢٣) فالخطاب فى القول الكريم عاما شاملا لكل من
تتأتى منه الرؤية ، فالمراد هو الوعظ والتنبيه الى شدة حال المجرمون ،
وفى ذلك زجر شديد للنفس .

وقد ورد ذلك كثيرا فى القرآن الكريم فمن ذلك قوله تعالى :
« وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ » (٢٤) ، وقوله تعالى : « وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍ مِنْ سَبِيلٍ » (٢٥) .

٣ - وقد يأتى التعريف بالضمير المغائب : لكون المسند اليه مذكورا
أو فى حكم المذكور لقريئة ، فمما يذكر فيه القرينة لفظية قول الله تعالى :
« وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ، ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَالْيَهُ تَجَارُونَ » (٢٦) .
فالقرينة ذكر لفظ الجلالة « الله » فى أول القول الكريم ، وكقوله تعالى :
« بَلَى مِنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (٢٧) .

- | | |
|----------------------|--------------------------|
| • (٢١) المائدة : ١١٦ | • (٢٠) الأنبياء : ٦٢ |
| • (٢٣) السجدة : ١٢ | • (٢٢) الواقعة : ٥٨ ، ٥٩ |
| • (٢٥) الشورى : ٤٤ | • (٢٤) الأنعام : ٢٧ |
| • (٢٧) البقرة : ١١٢ | • (٢٦) النحل : ٥٣ |

وقد تكون معنوية كقوله تعالى : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » (٢٨)
ففى قوله تعالى : « اعدلوا » معنى العدل .

أو لدلالة قرينة الحال ، كقوله تعالى : « ولأبويه لكل واحد منهما
السدس » (٢٩) . أى أبوى الميت . وكقوله تعالى : « حتى توارث
بالحجاب » (٣٠) فإن قرينة ذكر العشى والتوارى بالحجاب مع سياق
الكلام الدال على فوات وقت الصلاة تدل على المرجع للشمس » (٣١) .

وكقول الشاعر :

هو البحر من أى النواحي أتتته فلجته البحر والبر ساحله

-
- (٢٨) المائدة : ٨ .
(٢٩) النساء : ١١ .
(٣٠) سورة ص : ٣٢
(٣١) المختصر على المطول ج ٢٠٧/١ .

التعريف بالعلمية

١ - يؤتى بالمسند اليه علماً لاحضاره بعينه فى ذهن السامع ابتداء باسم مختص به كقوله تعالى : « الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار » (٣٢) . فذكر لفظ الجلالة لأنه وحده سبحانه وتعالى القادر على كل شيء والخالق لكل شيء . ومثله قوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (٣٣) .

٢ - واما لتعظيمه أو اهانتة كما فى الكنى والألقاب المحمودية والمذمومة ، فتقول فى المدح : جاء ابو الخير . وفى الذم : جاء أبو جهل .

٣ - كما يأتى للتفاؤل والتطير تقول فى التفاؤل : سعد فى دارك . وفى التطير : السفاح فى دار عمك . فكلا من « سعد » ، و « السفاح » تعد كنية بالرجوع الى المعنى اللغوى ، وذلك لكونها منقولات من معان شريفة أو خسيصة .

٤ - او للتبرك بذكر اسمه كقولك : « الله ربنا الهادى ، ومحمد نبينا » .

(٣٣) آل عمران : ٣٣ .

(٣٢) ابراهيم : ٣٢ .

التعريف بالموصولية

قدم الخطيب القزويني ، وصاحب المطول تناول التعريف بالموصولية على التعريف باسم الإشارة مع أنه أعرف منه لأن فيه شبه الألقاب بأفادته وصف الرفع وعكسها . وأما المعرف بـ « ال » العهدية فهو مع المعرف بالموصولية رتبة واحدة ، ولذلك صح وصف المعرف بـ « ال » بالموصول . ولكن قدم الموصول عليه لما ذكر أيضا .

والمضاف رتبته رتبة ما أضيف اليه متأخره عن ذوات الرتب
أنسب « (٣٤) » .



● الأغراض البلاغية التي يرد فيها المسند اليه اسماً موصولاً :

١ - لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ، كقولك :
« الذي حضر عندنا أمس رجل من الحضر » . أو « رجل عالم » وذلك
إذا كان المخاطب لا يعلم عن المتحدث شيئاً .

٢ - أو لاستهجان التصريح بالاسم ، أو لزيادة التقرير كما جاء في
قوله تعالى : « وراودته التي هو في بيتها عن نفسه » (٣٥) حيث عدل
عن التصريح باسم امرأة العزيز « زليخا » استهجاناً لفعلها مشيراً لذلك
بالصلة في قوله تعالى : « التي هو في بيتها » كما أن القول الكريم به
تنزيه ليوسف عليه السلام عن الفحشاء وذلك بعدم ذكر اسمه في
ذلك الموقف .

٣ - للتفخيم والتهويل ، كقوله تعالى : « غشيهم من اليم
ما غشيهم » (٣٦) أي أن الذي غشيهم شيء عظيم . وقوله تعالى :
« إذ يغشى السدرة ما يغشى » (٣٧) .

- | | |
|-----------------|-----------------|
| ٢٣ : يوسف (٣٥) | المختصر ج ٢١٧/١ |
| ١٦ : النجم (٣٧) | طه : ٧٨ |

٤ - قد يكون لتنبيه المخاطب على خطأ أو تحذير مخافة وقوع ضرر
كقول عبدة بن الطيب :

ان الذين ترونهم اخوانكم يشفى غليل صدورهم ان تصرعوا

فصلة الموصول « ترونهم اخوانكم » فيه تحذير من قوم بعينهم
يضمرون الحقد والضغينة ، ويظهرون غير ذلك وهؤلاء القوم يظنونهم
اخوانهم .

٥ - وقد يكون للايماء الى وجه بناء الخبر كقوله تعالى : « ان الذين
يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (٣٨) فقوله تعالى :
« الذين يستكبرون عن عبادتى » يشير الى نوع الخبر الذى سيرد بعد ذلك
فيكون الخبر من جنس الاسم الموصول وصلته من عذاب ونكال .

ومثله قوله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة » (٣٩) . وقوله تعالى : « الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرين » (٤٠) .

وقول الفرزدق :

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه اعز واطول

وقول عبدة بن الطيب :

ان التى ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول (٤١)

الشاهد فى قوله : « التى ضربت » فيه اشارة الى بعدها ، وهذا
يؤمىء الى زوال المحبة على رأى السكاكى ، اما الخطيب القزوينى فيرى
غير ذلك حيث يقول : « وفيه نظر ، اذ لا يظهر بين الايماء الى وجه بناء

(٣٨) غافر : ٦٠ .

(٣٩) فصلت : ٣٠ .

(٤٠) الأعراف ٩٢ .

(٤١) كوفة الجند : مدينة الكوفة . غالت : بمعنى اكلت .

الخبر وتحقيق الخبر فرق ، فكيف يجعل الأول ذريعة الى الثانى ،
والمسند اليه فى البيت الثانى ليس فيه ايماء الى وجه بناء الخبر عليه
بل لا يبعد أن يكون فيه ايماء الى بناء نقيضه «(٤٢) » .

٦ - التشويق الى الخبر ليتمكن فى ذهن السامع ، كقول
ابى العلاء المعرى :

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
فصلة الموصول « حارت البرية فيه » شئ يدعو للتشويق لمعرفة
المقصود به ، فاذا جاء الخبر بعد ذلك تمكن فى ذهن السامع .

وكقول الشاعر :

ان الذى الوحشة فى داره يؤنسه الرحمة فى لحده
« قصد بذلك ان يتوجه ذهن السامع الى ما سيخبره به عنه منتظراً
لوروده عليه حتى يأخذ منه مكانه »(٤٣) .

٧ - وكإخفاء الأمر عن غير المخاطب ، كقول الشاعر :

وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتى كما أهوى

التعريف بالاشارة

يؤتى بالمسند اليه معرفة بالاشارة لأغراض بلاغية نذكر منها :

١ - لتمييزه أكمل تمييز لصحة احضاره فى ذهن السامع بواسطة
الاشارة حسا ، كقول ابن الرومى :

هذا أبو الصقر فرداً فى محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم (٤٤)
وأبو الصقر الشيبانى هو وزير المعتمد ، فجاء المسند اليه اسم
اشارة قصداً الى تمييزه ومدحه عن غيره .

وكقول الشاعر :

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسرل سربال ليل اغبر .
أوما الى الكوماء هذا طارق نحرتنى الأعداء ان لم تنحري (٤٥)
فالأبيات توضح كرم الشاعر ، وجوده ، وقد جاء المسند اليه معرفة
باسم الاشارة فى قوله : « هذا طارق » .

وكقول جرير المعروف بالملتمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته . وذا يشج فلا يرثى له أحد
فالمسند اليه : أسماء الاشارة : « هذا » ، « ذا » يدلان على
التحديد والتمييز .

(٤٤) الضال : شجر السدر البرى . والسلم : شجر ذو شوك .
وقوله : « بين الضال والسلم » كناية عن عزهم .
(٤٥) قيل ان البيتين لرجل يمدح حاتماً . وقيل انهما لحسان بن
ثابت ، وقيل : انهما لعبد الله بن مسلم . وقوله : « أوما » تخفيف
« أوما » بمعنى أشار . والكوماء : الناقة الضخمة .

وكقول الفرزدق :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
وذلك حين سأل رجل هشام بن عبد الملك عن على بن الحسين
فتجاهله هشام فسأه ذلك الفرزدق فأنشأ هذه الأبيات .

٢ - للتنبيه على غباوة السامع ، كقول الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا ياجرير المجامع

فقوله : « فجئنى » للتعجيز ، فالشاعر يهجو جريراً ويحط من قدره ،
ويعرض بخبائئه ، ويفهم هذا من اسم الإشارة « أولئك » والذى يشير به الى
قومه وهم غائبون لموتهم . كما أن التعجيز فى قوله « فجئنى بمثلهم »
يفيد بأن جريراً ليس فى قومه ما يناظر أحساب الفرزدق وهذا على غرار
قوله تعالى : « فاتوا بسورة من مثله » (٤٦) .

٣ - لبيان حاله فى القرب ، أو التوسط أو البعد . ومع افادة هذه
النكتة يترتب على ذلك أن القرب يكون للتحقير كما فى قوله تعالى :
« واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزواً أهذا الذى يذكرك
آلهتكم » (٤٧) فدلالة القرب فى اسم الإشارة . « هذا » للتحقير ،
فالكافرون يسخرون من الرسول ﷺ لأنه يعرض بآلهتهم . والذى دل
على ذلك افادة القرب فى اسم الإشارة « هذا » .

ومثله قوله تعالى : « وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب » (٤٨)
فاسم الإشارة هذا للقريب يفيد تحقير شأن الدنيا .

٤ - كما يفيد القرب التعظيم أيضاً : كقوله تعالى : « ان هذا القرآن
يهدى للتى هى اقوم » (٤٩) . فالقرب المستفاد من اسم الإشارة يفيد .

- | | |
|----------------------|----------------------|
| (٤٦) البقرة : ٢٣ . | (٤٧) الانبياء : ٣٦ . |
| (٤٨) العنكبوت : ٦٤ . | (٤٩) الاسراء : ٩ . |

ان القرآن الكريم قريباً من النفس والعقل وهذه ميزة اختص بها القرآن
عن غيره من الكتب المنزلة .

٥ - كما أن البعد المستفاد من اسم الإشارة يفيد التحقير كقولك :
« ذلك اللعين فعل كذا » ...

٦ - كما يفيد التعظيم فى قوله تعالى : « ألم + ذلك الكتاب لا ريب
فيه » (٥٠) . تنزيلاً لبعد درجته ورفعته محله منزلة بعد المسافة .

ونحو قوله تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها » (٥١) .

٧ - وأما للتنبيه على أن ما يرد بعد اسم الإشارة جدير بما يعقب
بأوصاف بعده . كقوله تعالى : « الذين ينفضون عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم
الخاسرون » (٥٢) . فالقول الكريم قد ذكر أوصافاً عديدة لقوم ثم عاد
ليشير اليهم باسم الإشارة وقد جعل ما يترتب على تلك الأوصاف مسنداً
الى اسم الإشارة ، واسم الإشارة هذا يفيد أن ما سيأتى بعده جدير به .
وهو من نوع فعل ما يسبق اسم الإشارة .

كذلك قوله تعالى : « ألم + ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين +
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون + والذين
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون + أولئك
على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٥٣) .

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى عدة أوصاف للمتقين ، ثم ذكر اسم
الإشارة وقد أعقبه بوصف جدير بالأوصاف التى سبقت اسم الإشارة .

وقول حاتم الطائى :

ولله صعلوك يساور همه ويمضى على الأحداث مقدماً
فتى طلبات لا يرى الخمص (٥٤) ترحة ولا شبعة ان نالها عد مغنما

(٥٠) البقرة : ٢ ، ١ . (٥١) الزخرف : ٧٢ .

(٥٢) البقرة : ٢٧ . (٥٣) البقرة : ١ - ٥ .

(٥٤) الخمص : الجوع ، وشبعة مفعول أول لـ «عد» ، و «مغنما»

مفعول ثان .

إذا مارأى يوماً مكارم أعرضت (٥٥) تيمم كبراهن ثمت صمما
 وأحناء سرج (٥٦) قاتر ولجامه
 عتاد أخى هيجا وطرفا (٥٧) مسوما (٥٨)
 فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً
 فالشاعر يذكر خصال الممدوح ثم عقب ذلك بقوله « فذلك » فأفاد
 أنه جدير باتصافه بما ذكر بعده . وكذلك قوله تعالى : « أولئك على هدى
 من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٥٩) . فأفاد اسم الإشارة « أولئك »
 زيادة الدلالة على أن ما ذكر قبله جدير بالوصف الذى بعده .

-
- (٥٥) أعرضت : بمعنى ظهرت ، تيمم : قصد .
 (٥٦) أحناء السرج : جمع حنو لكل من قربوسه المقدم والمؤخر .
 (٥٧) الطرف : الجواد الكريم الأصل .
 (٥٨) المسوم : الذى يرسل ليرعى أو للاغارة .
 (٥٩) البقرة : ٥ .

التعريف « بال » أو « باللام »

أما التعريف بـ « ال » فهو بجانب كونه دراسة تميل للجانب النحوى
الا ان به نكاتاً بلاغية لطيفة يجدر الوقوف عليها .

فلا بد فى اللام أن تشير الى شىء مذكور قبلها ، فتزيد بذلك من
ربط أواصر الجملة وتقويتها .

وتنقسم اللام كما يراها البلاغيون الى قسمين :

الاول : لام العهد الخارجى .

الثانى : لام الحقيقة .

● وتنقسم لام العهد الخارجى الى ثلاثة أقسام :

١ - لام العهد الصريح : وهو أن يكون قد تقدم لدخولها ذكر صريح
قوله تعالى : « رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر
كالأنثى » (٦٠) . فتعريف الأنثى باللام للعهد الخارجى الصريح ، لأن
المعهود قد تقدم له ذكر صريح فى قوله تعالى : « أنثى » .

٢ - لام العهد الكنائى ، أى تقدير ذكره كناية ، وقد ورد ذلك فى
الآية السابقة . فى قوله تعالى : « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت
لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم . فلما
وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر
كالأنثى ، وانى سميتها مريم » (٦١) . فالشاهد فى قوله تعالى : « ليس
الذكر كالأنثى » فالتعريف باللام فى قوله « الذكر » هى لام العهد ولم
يسبق لها ذكر صريح فى المقام ولكن بطريق الكناية ، حين قالت فى
أول القول : « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » الخ ولم يكن
معلوم أنذاك فيحتمل أن يكون ذكراً ، وهو المعنى الكنائى الضمنى كما
يحتمل أن يكون أنثى . فاللام هنا لام العهد الكنائى .

(٦٠) آل عمران ٣٦ . (٦١) آل عمران : ٣٥ ، ٣٦ .

٣ - أن تكون اللام لام العهد العلمى الخارجى ولم يتقدمها ذكر صريح أو كنائى لكن للمخاطب علم به كقوله تعالى : « اذ يبايعونك تحت الشجرة » (٦٢) فتسمى اللام فى قوله تعالى : « الشجرة » لام العهد العلمى لأن الشجرة معلومة لدى الرسول ﷺ والمسلمون وهى شجرة الرضوان التى بايع المسلمون تحتها الرسول ﷺ يوم الحديبية ، لكنه لم يسبق لها ذكر صريح أو كنائى فى الآيات التى تسبقها ، وانما معلومة لدى المخاطبين .

● أما لام الحقيقة فلها ثلاثة أحوال رئيسية :

١ - أن يكون مدخولها الحقيقة من حيث هى هى ، وتسمى لام الجنس ، ولام الحقيقة أو لام الطبيعة . كقولك : الرجل العالم خير لأتمته ، فاللام فى « الرجل » تسمى لام الجنس .

وكقول أبى العلاء المعرى :

والخل كالماء يبدى لى ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر
يقول الشاعر : ان الصديق الصالح فى وقت صفائه يبدى ما يضمرة
وفى جفائه يخفى كدره فلا ترى منه ما يغضبك . فاللام فى « الخل » المراد بها جنس الخل .

٢ - أن يكون مدخولها من حيث وجودها ضمن فرد غير معين . وتسمى لام العهد الذهنى كقولك لزميلك : اذهب الى المنتدى . فأنت لا تقصد منتدى بعينه وانما تطلب منه الذهاب لآى من المنتديات ، وهذا يراد به فرد غير معين فهو أشبه فى المعنى بالنكرة .

كقول عميرة بن جابر الحنفى :

ولقد أمر على اللئيم يسسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعتينى
وثمت حرف عطف لحقها تاء التانيث . فالشاهد فى اللام فى قوله : « اللئيم » . فالمراد ، واحد غير معين يتصف باللؤم .

(٦٢) الفتح : ١٨ .

يقول صاحب المختصر : « وهذا فى المعنى كالنكرة ، وإن كان فى اللفظ تجرى عليه أحكام المعارف من وقوعه مبتدأ ، أو ذا حال ، ووصفاً للمعرفة ، وموصوفاً بها ، ونحو ذلك » (٦٣) .

٣ - أو يكون من حيث وجودها ضمن جميع الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة ، وتسمى لام الاستغراق وهذه نوعان :

(١) لام الاستغراق الحقيقى : وهو أن يراد بها كل فرد بحسب وضع اللغة كقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة » (٦٤) أى كل غيب وكل شهادة . ونحو قوله تعالى « والعصر » أن الانسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا » (٦٥) . فاللام فى قوله تعالى : « الانسان » يراد بها جميع أفراد الانسان أبيضه وأسوده ، فاللام هنا لام الاستغراق الحقيقى التى يشار فيها الى الماهية باعتبار حضورها فى الذهن .

(ب ٢) لام الاستغراق العرفى : وهو أن يراد كل فرد مما يتناولها اللفظ بحسب تفاهم العرف كقولك : « أكل الطفل الخضر » فليس المراد أنه أكل كل جنس الخضر ، وإنما المراد ما قدم له منه فقط .

(٦٣) المختصر ج ١/٢٣٢ . (٦٤) الانعام : ٧٣ .
(٦٥) العصر : ١ - ٣ .

تعريف المسند اليه بالاضافة

يؤتى بالمسند اليه معرفة بالاضافة للأغراض بلاغية منها :

١ - أنه ليس للمتكلم الى احضاره في ذهن السامع طريق احضر منه .

كقول جعفر بن عليّة الحارثي :

هواي مع الركب اليمانيّن مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق (٦٦)

فالشاهد في قوله : « هواي » . والأصل فيه أن يقول : « والذي أهوى » أو المهوى لي . فعمد الشاعر الى الاختصار عن طريق اضافة لفظ « الهوى » الى ياء المتكلم ، لأنه أخصر ، وأنسب لما هو فيه من ضيق الصدر ، وكذلك لضيق المقام في الشعر .

٢ - أو لاغنائها عن تفصيل متعذر أو مرجوح لجهة .

فمثال النوع الأول كقولك : جاء المسلمون الى المدينة . فمن المستحيل معرفة عدد المسلمون الذين اتوا لكثرتهم الشديدة .

ومثال الثاني : قول الحارث بن ولة الجرمي :

قومي هم قتلوا أميم أخي فاذا رميت يصيبني سهمي
فأميم : منادى مرخم . حذف منه الهاء للضرورة الشعرية ولتشير الى ما يعانيه الشاعر من آلام نفسية . وأميم كانت تحض الشاعر للأخذ بثأر أخيه . وموضع الشاهد في قوله : « قومي » حيث عمد الشاعر الى التنكير عن طريق اضافة لفظ « قوم » الى ياء المتكلم دون تحديد لمن قتل أخيه لاغناء الاضافة عن تفصيل تركه لغرض هو خوف حقدهم عليه ، أو قتلهم له .

(٦٦) كان الشاعر مسجوناً بمكة فزارته محبوبته مع ركب من قومها ، فلما رحلت قال فيها ذلك . اليمانيّن : جمع يمان ، وألفه عوض عن ياء النسب ، والمصعد : اسم فاعل من أصدع بمعنى أبعد في السير . والجنيب : المستتبع من جانب البعير اذا قاده الى جنبه .

٣ - يؤتى بالمسند اليه معرفةً بالاضافة لتضمنه تعظيماً لشأن المضاف أو المضاف اليه فمما يأتى للمضاف قولك : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٦٧) . فعظم شأن المضاف « أولياء » لأنهم مضاف الى الله سبحانه وتعالى .
ومثال المضاف اليه كقولك : « خادمى حضر » تعظيماً لك بأن لك خادماً .

أو تعظيماً لشأن غيرهما : كقولك : « خادم الرئيس عندى » . فهو تعظيم للمتكلم بأن عبد الرئيس عنده ، وهو غير المسند اليه المضاف وغير ما أضيف اليه المسند اليه .

٤ - يؤتى بالمسند اليه معرفةً بالاضافة لتضمنه تحقير لشأن المضاف ، أو المضاف اليه ، أو غيرهما .

فمثال المضاف قولك : « صديق اللص جالس » ففى ذلك تحقير للصديق بأنه يجالس لصاً .

ومثال المضاف اليه قولك : « ضارب عمرو حاضر » تحقيراً لعمرو بأنه ضرب ولم يثار لنفسه .

أو تحقير غير المضاف والمضاف اليه ، كقولك : « ولد اللص جليس زيد » . تقصد تحقير زيد لأنه يجالس ولد السارق اللص .

٥ - ان يتضمن التعريف بالاضافة اعتباراً لطيفاً ، كقول الشاعر :
إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل أذاعت غزلها فى الأقارب
فاضافة الكوكب الى الخرقاء جاء للملابسة لطيفة ، وهى أن هذه المرأة لا تذكر كسوة الشتاء الا وقت طلوع سهيل فى السحر . وذلك لا يكون الا وقت الشتاء مما يضطرها الى توزيع غزلها على أقاربها حتى يمكنها الانتهاء من اعداد ما يلزمها .

٦ - كما يفيد التعريف بالاضافة : الاسترحام والاستعطاف كما فى قوله تعالى : « لا تضار والدته بولدها ولا مولود له بولده » (٦٨)
فأضيف الولد الى والدته وكذلك الى والده لاستعطافهما على صغيرهما .

(٦٨) البقرة : ٢٣٣ .

(٦٧) يونس : ٦٢ .

أغراض التنكير

يؤتى بالمسند اليه نكرة لأغراض بلاغية نذكر منها :

١ - للأفراد : فالنكرة المفرد تدل على فرد منتشر من جنس النكرة ،
وإذا كانت مثنى دلت على اثنين ؛ وإذا كانت جمعا دلت على ثلاثة .
أو للنوعية .

فمما يشير الي الأفراد قوله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة
يسعى » (٦٩) أى فرد من أشخاص الرجال . كقوله تعالى : « وما من
دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم » (٧٠) فقول تعالى :
« دابة » ، و « طائر » يراد به الأفراد والجنس .

ومما يشير للتثنية ما ذكره الخطيب القزوينى نقلا عن الزمخشري
فى تفسيره لقوله تعالى : « لا تتخذوا الهين اثنين ، انما هو اله واحد » (٧١) .
يقول القزوينى : ان الزمخشري يذكر ان الاسم الحامل لمعنى الأفراد
والتثنية دال على شيئين : على الجنسية ، والعدد المخصوص ، فإذا أريدت
الدلالة على أن المعنى به منهما ، والذي يساق له الحديث هو العدد شفع
بما يؤكد ، فدل به على القصد اليه ، والعناية به . الا ترى أنك لو قلت :
« انما هو اله » . ولم تؤكد « بواحد » لم يحسن ، وخيل أنك تثبت
الالهية ، لا الوحدانية » (٧٢) .

٢ - للنوعية ، كقوله تعالى : « وعلى أبصارهم غشاوة » (٧٣) أى :
جنس من الأعطية غير ما يتعارفه الناس ، وهو غطاء التعامى عن
آيات الله .

وكقوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء » (٧٤) : أى : « نوع

- | | |
|-----------------------|--------------------|
| • (٧٠) الانعام : ٣٨ | • (٦٩) القصص : ٢٠ |
| • (٧٢) البغية : ١١٠/١ | • (٧١) النحل : ٥١ |
| • (٧٤) النور : ٤٥ | • (٧٣) البقرة : ٧٠ |

من الماء مختص بتلك الدابة أو من ماء مخصوص وهى النطفة ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه « (٧٥) .

٣ - أو للتكثير ، كقولهم : ان له لابلا ، وان له لغنما : يريدون الكثرة .

٤ - أو للتقليل كقوله تعالى : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ورضوان من الله أكبر » (٧٦) . أى وشئ ما من رضوانه أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر فى نفسه مما وراءه من النعيم ، وانما تهنا برضاه ، كما أنه اذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة وان عظمت « (٧٧) .

٥ - وقد يفيد التنكير التحقير والتقليل معا كقولك : حصل لى منه شئ . أى حقير قليل .

٦ - وقد يأتى للتعظيم وعلو الشأن أو التحقير ، وذلك كقول الشاعر :
فتى لا يبالى المدلجون بنوره الى بابہ الا تضىء الكواكب
له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجبا
فمعنى حاجب الأولى : للتعظيم أى له حاجب عظيم عن كل أمر يشينه بينما لا يوجد أدنى حاجب بينه وبين طالب الاحسان . فمعنى حاجب الثانية للتحقير .

ومما جاء للتعظيم قوله تعالى : « ولكم فى القصص حياة » (٧٨) .
أى حياة عظيمة عزيزة لمنعه بذلك قتل نفس .

ومما جاء للتحقير قوله تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » (٧٩) حيث جاءت لفظة « حياة » نكرة فأفادت تحقير شأن هذه الحياة التى يحرصون عليها .

(٧٥) البغية ١٠٣/١ والمفتاح ص ٨٣ .

(٧٦) التوبة : ٧٢ .

(٧٧) البغية : ١٠٣/١ . (٧٨) البقرة : ١٧٩ .

(٧٩) الدلائل لعبد القاهر ص ١٨٩ ، والآية من سورة البقرة : ٩٦ .

٧ - ومما جاء للتعظيم والتكثير معاً كقوله تعالى : « فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » (٨٠) . أى رسل كثيرة ذروا آيات ونذر .

. هذا وهناك فرق بين التعظيم والتكثير ، وهو أن التعظيم لعلو الشأن وارتفاع الدرجات . أما التكثير فيكون باعتبار الكميات والمقادير تحقيقاً أو تقديرأ .

كما أن هناك فرق بين التحقير والتقليل . فالتحقير يكون بحسب انحطاط الشأن ودنو المرتبة ويكون التقليل بحسب الكمية .

التقديم

أما تقديم المسند اليه فانه يقدم وجوباً لأن أصله التقديم ، لأنه المحكوم عليه ولا مقتضى للعدول عنه ، ذلك لكون ذكره أهم . ولأغراض بلاغية أخرى نذكر منها :

١ - ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً اليه ، وحصول الشيء بعد التشويق يكون في النفس أوقع ، من ذلك قول أبي العلاء المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد(١)

فقدم المسند اليه ، الاسم الموصول وصلته : « والذي حارت البرية فيه » يشير الى أمر غريب يدعو للدهشة ، ثم جاء المسند بعد ذلك فكان جوابه أشد وقعاً في النفس .

٢ - وأما لتعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل : نحو قولك في التفاؤل : « سعد في دارك » ، أو « السفاح في دار أخيك » للتطير .

٣ - وأما لايهام أنه لا يزول عن خاطر مثل : « هو الله الذي لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة » (٢) .

٤ - وأما لأنه يستلذ فهو الى الذكر أقرب . كقول قيس بن الملوح : بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن أم ليلى من البشر

٥ - وأما لتعجيل اظهار تعظيمه أو تحقيره ، مثال الاول قولك : محمد نبينا ، الله ربنا . والثانى ، كقولك : الجاهل غائب عن المجلس .

(١) حارت : بمعنى اختلفت من اطلاق الملزوم واردة اللزوم على سبيل المجاز المرسل .
(٢) الحشر : ٢٢ .

٦ - افادة تخصيص الحكم . يقول الامام عبد القاهر : « وقد يقدم المسند اليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى ان ولى حرف النفى كقولك : ما أنت قلت هذا ، فأفاد نفى الفعل عنك وثبوتك لغيرك . فلا تقول ذلك الا فى شىء ثبت أنه مقول ، وأنت تريد نفى كونك قائلاً له ، ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمت جسمى به ولا أنا أضمرت فى القلب ناراً

اذ المعنى : ان هذا السقم الموجود والضرم الثابت ، ما أنا جالباً لهما ، فالقصد الى نفى كونه فاعلاً لهما الى نفيهما . ولهذا لا يقال : « ما أنت قلت ولا أحد غيرى » ، لمناقضة منطوق الثانى لمفهوم الاول . بل يقال : ما قلت أنا ولا أحد غيرى . ولا يقال : ما أنا رأيت أحداً من الناس ، ولا ما أنا ضربت الا زيدا ، بل يقال : ما رأيت أنا أحداً من الناس ، أو ما ضربت أنا الا زيدا ، لأن النفى فى الاول الرؤية الواقعة على كل واحد من الناس ، وفى الثانى : الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد « (٣)

ومن ذلك قوله تعالى : « وما أنت علينا بعزير » (٤) .

٧ - اذا لم يل المسند اليه حرف النفى بأن لا يكون فى الكلام حرف نفى أو يكون حرف النفى متأخراً عن المسند اليه ، وكان القصد قصر الفعل على المسند اليه ونفيه عن غيره ، فان ذلك يحتمل ثلاثة أوجه :

- (١) اذا كان المخاطب متردداً فيمن فعل الفعل ، فهو على أم زيد . فتقول له : زيد كتب فى معنى فلان . فان ذلك يسمى قصر تعيين (٥) .

(٣) البغية ج ١/ ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) هود : ٩١ .

(٥) قصر التعيين : هو ما كان المخاطب فيه متردداً فى الأمر .

وقصر الافراد : ما كان معتقداً فيه الشركة ، وقصر القلب : ما كان يعتقد العكس .

(٢) اذا كان المخاطب يعتقد الشركة فى الأمر بأن كان يعتقد أن الذى فعل الفعل هو على وزيد وعمرو ، فتقول له : « زيد كتب فى معنى فلان » . فان ذلك يسمى قصر افراد .

(٣) اذا كان المخاطب يعلم عكس الحقيقة ، بأن يعتقد أن الذى فعل « على » بينما الصحيح يكون « زيدا » فتقول له عكس ما يعتقد : « زيد كتب فى معنى فلان » فان ذلك يسمى « قصر قلب » .

ومن الأمثلة المشهورة التى أوردها البلاغيون لافادة التخصيص ، قوله تعالى : « ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم » (٦) . « أى لا يعلمهم الا نحن ، ولا يطلع على أسرارهم غيرنا ، لا بطنانهم الكفر فى سويداوات قلوبهم » (٧) وكالمثل : « اتعلمنى بضب أنا حرشته » ؟ (٨) .

٨ - تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع وتمكنه دون التخصيص .
وذلك على وجهين :

الأول : اذا تقدم المسند اليه على المسند الخبر الفعلى ، ولم يكن فيه نفى - وكان الغرض هو افادة التقوية والتأكيد للحكم ، وليس لقصره عليه كقولك : « هو يعطى الجزيل » يقول الخطيب القزوينى : « لا تريد ان غيره لا يعطى الجزيل ، ولا أن تعرض بانسان ، ولكن تريد أن تقرر فى ذهن السامع وتحقق أنه يفعل اعطاء الجزيل .

وسر التقوية فى ذلك هو تكرار الاسناد . فقد أسند الفعل « يعطى » مرة الى المسند اليه الظاهر ، فى قوله « هو » وأخرى الى الضمير المستقر فى الفعل . وبذلك تقرر الحكم وتقوى فى ذهن السامع .

وكقول المعذل بن عبد الله الليثى يمدح فتيان بنى عتيك :

(٦) التوبة : ١٠١ . (٧) البغية : ١٢٤/١ .

(٨) حرشته : صدته . والمثل يضرب لمن يخبرك بشئ أنت أعلم

به منه .

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سباح يبذ المغاليا (٩)

والشاهد فى قوله : « هم يفرشون » فقد أسند الفعل « يفرشون » مرتين ، مرة الى المسند اليه الضمير الظاهر « هم » ، وأخرى الى « واو الجماعة » المتصلة بالفعل المضارع مما أدى الى تقوية الحكم وتوكيده .

وكقول الأخنس بن شهاب التغلبى :

فهم يضربون الكبش (١٠) ببرق بيضه

على وجهه من الدماء سبائب

والشاهد فى قوله : « هم يضربون » حيث أسند الفعل مرتين . مرة أسند المسند اليه الى الضمير الظاهر « هم » ومرة أسند « لواو الجماعة » المتصلة بالفعل . فافاد التوكيد والتقوية للحكم .

يقول الامام عبد القاهر : « لم يرد أن يدعى لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها ، وينص عليهم حتى كأنه يعرض بقوم آخرين ، فينفى أن يكونوا أصحابها ؟ هذا محال ، وانما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ، وأنهم يقتعدون الجياد منها ، وأن ذلك دأبهم من غير أن يعرض لنفيه عن غيرهم ، الا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ويعلمه بدياً قصده اليهم بما فى نفسه من الصفة ليمنعهم بذلك من الشك ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هى لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط اليهم » .

وقوله : « هم يضربون » ، لم يرد أن يدعى لهم الانفراد ، ويجعل

(٩) اللبد : المتلبد من الصوف أو الشعر . والطمرة : الفرس الكريمة . والأجرد : القصير الشعر . والسباح : اللين الجرى السريع العدو . والمغاليا : يضم الميم : السهم . ويفتحها : جمع فعلى أو فعلاة وهى : السهم أيضاً والمعنى أنه : أسرع من السهم .

(١٠) الكبش : الشجاع . البيض : اللامة ، السبائب : الطرائق جمع سبيبة . والمعنى : أنهم يضربون فيسيل دمه كأنه طرائق .

هذا الضرب لا يكون الا منهم ، ولكن اراد الذى ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث ليحقق الامر ويؤكدده «(١١)» .

الوجه الثانى : اذا تقدم المسند اليه ، وكان الفعل منفيًا فقد يأتى التقديم للتخصيص وقد يأتى للتقوى . فالأول كقولك : « أنت ما سعت فى حاجتى » قصدا الى تخصيصه بعدم السعى . والثانى كقولك : « أنت لا تكذب » وهو لتقوية الحكم المنفى وتقريره .

بذلك يكون أشد لنفى الكذب من قولك : « لا تكذب » وذلك لتركاز الاسناد فى قولك : « أنت لا تكذب » فقد أسند الفعل الى المسند اليه مرة ، وأسند مرة أخرى الى الفاعل الضمير المستتر فى الفعل .

أما قولك : « لا تكذب » فقط . فالفعل مسند فيه الى الفاعل الضمير المستتر فقط .

ومما يفيد التقوى قوله تعالى : « والذين هم بربهم لا يشركون » (١٢) فقله تعالى : « هم لا يشركون » أقوى فى التأكيد من القول : « لا يشركون بربهم » أو القول : « الذين بربهم لا يشركون » ومثل ذلك قوله تعالى : « لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » (١٣) . فقله تعالى : « هم لا يؤمنون » أقوى تأكيداً من القول : « لا يؤمنون هم » .

ومما يجدر التنبيه اليه أن افادة المسند اليه التخصيص أو التقوى يكون تبعاً لمقتضى الحال .

(١١) دلائل الاعجاز لعبد القاهر ص ٨٦ ، ٨٧ .
(١٢) المؤمنون : ٥٩ . (١٣) يس : ٧ .

تقديم المسند اليه لافادة عموم السلب وسلب العموم

معنى العموم : هو شمول الحكم جميع الأفراد سواء نفيا أو اثباتا .
والفاظ العموم مثل : «كل» و «جميع» ، فإذا تقدم أحدهما على أداة النفي
توجه النفي الى الشمول خاصة دون الفعل . كقولك : « كل ذلك لم يكن »
فيكون النفي عاما .

« ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له ذو اليمين : أقصرت
الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل ذلك
لم يكن » أى لم يكن واحد منها : لا القصر ، ولا النسيان . فشمل النفي
جميع الفعل .

ومما يدل على شمول النفي قول أبى النجم العجلي :

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع

برفع «كله» على معنى «لم أصنع شيئا مما تدعيه على من الذنوب» ،
ولافادة هذا المعنى عدل عن النصب المستغنى عن الاضمار الى الرفع
المفتقر اليه . أى لم أصنعه « (١٤) .

فـ « كل » أن قدمت على النفي لفظا ، ولم تقع معمولة للفعل المنفى ،
أفاد ذلك شمول النفي للفعل . كقول ابراهيم النبهاني :

فكيف ، وكل ليس يعدو حمـامه

ولا لامرىء عما قضى الله مزحـل (١٥)

فتقديم لفظ «كل» على النفي أفاد الشمول . والمعنى أن الموت لم يترك
أحدا . أما اذا تأخر النفي على لفظ « كل » لأفاد المعنى أنه سيكون هناك
من لم يلحقه الموت وهذا محال .

(١٤) المختصر ج ١ / ٢٩٥ . بتصرف .

(١٥) الحمام : قضاء الموت وقدره . مزحل : مزحزح .

● سلب العموم :

أما إذا أخرج لفظ الشمول والعموم « كل » أو « جميع » عن
النفي أي تقدم عليه النفي فإن ذلك يفيد « سلب العموم » ونفي الشمول .
كقول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

والمعنى : أن ليس كل ما يتمناه المرء يحققه ويدرك ما ربه
فيه وإنما يتحقق بعض ما يتمناه .

فإذا تأخر النفي على لفظ العموم أفاد أن كل أُمْنِيَات الفرد تتحقق
وهذا مبالغ فيه .

يقول الشيخ عبد القاهر : « وأعلم أنك إذا أدخلت كلا في حيز النفي ،
وذلك بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديراً ، فالمعنى على نفي الشمول ،
دون نفي الفعل ، والوصف نفسه . وإذا أخرجت كلا من حيز النفي ،
ولم تدخله فيه لفظاً ولا تقديراً ، كان المعنى على أنك تبعت الجملة فنفي
الفعل والوصف عنها واحداً واحداً ، والعلّة في ذلك ، أنك إذا بدأت
بـ « كل » كنت قد بنيت النفي عليه ، وسلطت الكلية على النفي ، وأعملتها
فيه . وأعمال معنى الكلية في النفي يقتضى ألا يشذ شيء عن النفي
فاعرفه » .

وكقول أبي العتاهية :

ما كل رأى الفتى يدعو إلى رشد إذا بدا أمر مشكل فق

والمعنى : أن رأى الفتى لا يكون صواباً في كل الأحوال ، لكن هناك
بعض الأمور التي يقصر فيها . والذي أفاد ذلك تقديم أداة النفي على
لفظ العموم « كل » .

تأخير المسند إليه

يؤخر المسند إليه إذا كان المقام يقتضى تقديم المسند لأهميته ،
ولأغراض بلاغية سنعرض لها بالتفصيل في حينه أن شاء الله تعالى عند
الحديث عن أحوال المسند .

تخريج المسند اليه خلاف مقتضى الظاهر

وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، لاقتضاء الحال
اياه وسنعرض لموضعين من ذلك :

١ - وضع المضمير موضع المظهر :

ويأتى ذلك على وجهين :

(١) أسلوب المدح والذم بنعم وبئس :

فتقول « نعم رجلا زيد » ، « وبئس عدوا الظلم » فمقتضى الظاهر
هو الاظهار فتقول : « نعم الرجل زيد » « وبئس الظلم عدوا » . دون
الاضمار لعدم تقدم ذكر المسند اليه وعدم وجود قرينة تدل عليه ،
وانما عدل عنه واستخدم الضمير موضع الاسم الظاهر لغرض التعيين
بعد الابهام .

ويكون استخدام «نعم» و«بئس» من وضع المضمير موضع المظهر ، اذا
جعل المخصوص بالمدح أو الذم خبر لمبتدأ محذوف . أما اذا جعل المخصوص
هذا مبتدأ ، و « نعم رجلا » خبره ، فيحتمل أن يكون الضمير عائدا الى
المخصوص وهو متقدم تقديرا فحينئذ لا يكون من هذا الباب .

(٢) ضمير الشأن أو القصة :

فهو كل ضمير يتقدم مرجعه حكما ، ويتأخر لفظا ورتبة ، كما في
قوله تعالى : « انه لا يفلح الكافرون » (١٦) وقوله : « فانها لا تعمى
الأبصار » (١٧) وقوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا » (١٨)
فالضمير فى تلك الآيات « ضمير الشأن والحال » وهو ضمير غائب ليس
له مرجع ، ولم تدل عليه قرينة ، وكان الأصل فى الاسلوب أن يعبر بالاسم
الظاهر ، ولكنه عدل الى ما يسمى بضمير الشأن أو القصة بغرض التفتيح .

وضمير الشأن كما يرى الخطيب القزوينى يؤتى به : « ليمكن فى
ذهن السامع ما يعقبه فان السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقى منتظرا

(١٦) المؤمنون : ١١٧ . (١٧) الحج : ٤٦ .

(١٨) الأنبياء : ٣ .

لعقبى الكلام كيف تكون ؟ فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن ، وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة « (١٩) » .

٢ - وضع المظهر موضع المضمير :

وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمير . فان كان المظهر الذى وضع موضع المضمير اسم اشارة فيكون ذلك للأغراض بلاغية منها :

(١) لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم غريب : كقول ابن الراوندى :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا . (٢٠)

والشاهد فى اسم الاشارة « هذا » . يقول صاحب الايضاح : « لانه يعود الى الحكم السابق عليه ، وهو كون العاقل محروما ، والجاهل مرزوقا ، فالمقام للضمير لأن هذا الحكم غير محسوس ، واسم الاشارة موضوع للمحسوس ، والحكم البديع الذى أسند الى اسم الاشارة ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا » (٢١) .

(٢) وقد يأتى البليغ باسم الاشارة بدلا من الضمير للتهكم بالسامع :
« كأن يقول لك اعمى : « أتشهد أن زيدا ضرب عمرو » فتقول له نعم ، ذلك الذى فى جانبك .. سواء كان فى جانبه أم لم يكن » (٢٢) .

(٣) واما للنداء على كمال بلاذته بانه لا يدرك غير المحسوس بالبصر .

(٤) أو لادعاء أنه أكمل ظهورا حتى كأنه محسوس بالبصر .

(١٩) بغية الايضاح ١ / ١٤٧ وما بعدها .

(٢٠) الزنديق : الذى يبطن الكفر ، ويظهر الاسلام .

(٢١) بغية الايضاح ١ / ١٤٨ .

(٢٢) المصدر السابق ١ / ١٤٩ .

وإذا كان المظهر الذى يوضع موضع المضمير غير اسم الإشارة فيكون ذلك :

(١) لزيادة التمكين كقوله تعالى : « قل هو الله أحد • الله الصمد » (٢٣) فلما كان المقام تعظيم الله سبحانه وتعالى والتقرير بأنه الواحد لا شريك له ، وجب التصريح بلفظ الجلالة بدلا من المضمير •

وكقول البحتري :

صنت نفسى عما يدنس نفسى • ترفعت عن جدا حبس
فمقتضى الظاهر أن يقول : « عما يدنسها » لكنه عدل الى التعبير بالاسم الظاهر للتأكيد •

(٢) أو يكون لغرض ادخال الروع فى نفس السامع وتربية المهابة كقول الرئيس : « القائد يأمر بكذا » بدلا من قوله « أنا آمر بكذا » •

(٣) ويوضع المظهر موضع المضمير أيضا : للاستعطاف والاسترحام • كقول ابراهيم بن أدهم :

الهى عبدك العاصى أتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا
فان تغفر فأنت لذاك أهل • إن تطرد ، فمن يرحم سواكا

فقد عبر بالاسم الظاهر « عبدك » بدلا من استخدام المضمير « أنا » لما فى لفظ « عبدك » من التخضع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة •

الالتفاتات

يعرفه البلاغيون بأنه: «التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم ، الخطاب ، الغيبة . بعد التعبير عنه بطريق آخر منها » . أى أن مرجع الضمير فى الحالين واحد لكن البليغ يلجأ الى مجيء الضمير الثانى خلاف الأول عكس ما ينتظر السامع ، ولذا سمى ذلك « الالتفاتا » وله ستة صور :

١ - الالتفات من التكلم الى الخطاب : كقوله تعالى : « اتبعوا المرسلين • اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون • ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون » (١) •

مقتضى الظاهر « واليه أرجع » جريا على التعبير الذى سبق « فطرنى » ، كما اعتبر البلاغيون أيضا أن هناك التفات من الخطاب فى قوله « اتبعوا » الى التكلم فى قوله « ومالى » •

٢ - من التكلم الى الغيبة (٢) : كقوله تعالى : « انا اعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر » (٣) •

ومقتضى الظاهر : « فصل لنا » • وكقوله تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا » (٤) فقد ورد ضمير التكلم فى قوله تعالى : « يا عبادى » فكان مقتضى الظاهر أن يأتى أيضا بنفس ضمير التكلم فيكون « رحمتى » بدلا من الاسم الظاهر وهو ذكر لفظ الجلالة « رحمة الله » لكنه التفت عنه الى ضمير الغيبة ليدخل الأمن فى قلوب اليايين •

(١) يس : ٢٠ - ٢٢ •
(٢) يشمل الغيبة الاسم الظاهر •
(٣) الكوثر : ١ ، ٢ •
(٤) الزمر : ٥٣ •

٣ - من الخطاب الى التكلم :

كقوله تعالى : « واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، ان ربي رحيم ودود » (٥) . فجاء الخطاب فى قوله تعالى : « واستغفروا » ثم التفت الى التكلم فى قوله تعالى « ربي » وقد جاء القول الكريم فى صورة الالتفات ليدل على أن الله واحد لا شريك له .

وكقول عبدة بن الطيب :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب (٦)
يكلبنى ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب
التفت من الخطاب فى « بك » الى التكلم فى « يكلبنى » وكان الأصل أن يقول : « يكلفك » لكنه عدل عنه الى التكلم .

٤ - من الخطاب الى الغيبة :

كقوله تعالى : « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » (٧) .

ففى قوله تعالى « كنتم » جاء على طريق الخطاب ثم جاء الأسلوب فى قوله تعالى « وجرين بهم » الى أسلوب الغيبة مع أن المخاطبين حاضرون ، الا أن الله سبحانه وتعالى عدل عن أسلوب الخطاب لأنه سبحانه اعتبرهم فى مقام الغائبين للتشهير بهم ، وكأنه يروى قصتهم لغيرهم .

٥ - من الغيبة الى التكلم :

كقوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه » (٨) .

فقد جرى الأسلوب فى قوله تعالى « والله الذى أرسل » على طريق الغيبة ثم انتقل الى أسلوب التكلم فى قوله تعالى « فسقناه » وكان

-
- | | |
|-----------------------|-----------------|
| (٦) طحا : ذهب واتلف . | (٥) هود : ٩٠ . |
| (٨) فاطر : ٩ . | (٧) يونس : ٢٢ . |

مقتضى الظاهر : « فساقه » لكنه عدل عن أسلوب الغيبة الى التكلم ليثير الانتباه ويلفت الى قدرته سبحانه جل وعلا .

٦ - من الغيبة الى الخطاب :

كقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين • اياك نعبد واياك نستعين » (٩) فقد جاء أسلوب الغيبة فى قوله تعالى « الحمد لله » لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة . ثم انتقل الى الخطاب فى قوله « اياك نعبد » وكان مقتضى الظاهر « اياه » .

يقول القزوينى فى فضل الالتفات : « واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع ، وأكثر ايقاظا للاصغاء من اجرائه على أسلوب واحد . وقد تختص مواقع بلطائف كما فى سورة الفاتحة ، فان العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر ، ونفس ذاكرة لما هو فيه بقوله « الحمد لله » الدال على اختصاصه بالحمد ، وأنه حقيق به - وجد من نفسه لا محالة محركا للاقبال عليه ، فاذا انتقل على الافتتاح الى قوله « رب العالمين » الدال على انه مالك للعالمين لا يخرج منهم شئ عن ملكوته وربوبيته ، قوى ذلك المحرك ، ثم اذا انتقل الى قوله : « الرحمن الرحيم » الدال على انه منعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم اذا انتقل الى خاتمة هذه الصفات العظام ، وهى قوله : « مالك يوم الدين » الدال على انه مالك الامر كله يوم الجزاء تناهت قوته وأوجب الاقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات . وكما فى قوله تعالى : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » (١٠) لم يقل « واستغفرت لهم » وعدل عنه الى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله ﷺ وتعظيما لاستغفاره وتنبيهها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان » (١١) .



- (٩) الفاتحة : ٢ - ٥ . (١٠) النساء : ٦٤ .
(١١) بغية الايضاح ١٥٧/١ - ١٥٨ .

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى

يلجأ البليغ الى التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه .

كقوله تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله » (١٢) . فالفعل « صعق » المراد بل « فيصعق » لأن الحدث لم يقع بعد لكنه عبر عنه بالماضى اشارة الى تحقق وقوعه لأنه لا محالة واقع .

وكقوله تعالى : « ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » (١٣) حيث عبر بالفعل الماضى « حشرناهم » فكان الفعل قد وقع فعلا .

وكقوله تعالى : « ونادى أصحاب الأعراف » (١٤) فقد جعل المتوقع الذى لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع .

وحكم الفعل الماضى الفعل المضارع ، واسم الفاعل ، واسم المفعول . فمثال اسم الفاعل كقوله تعالى : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » (١٥) .

التعبير عن الماضى بلفظ المضارع

ذلك كقوله تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا » (١٦) .

فقد عبر بقوله « فتثير » وكان مقتضى الظاهر أن يقال : « أثارت » ، لكنه عدل عن التعبير بالفعل الماضى الى المضارع ليدل على الاستمرار فى الحدث .

(١٣) الكهف : ٤٧ .

(١٥) هود : ١٠٣ .

(١٢) الزمر : ٦٨ .

(١٤) الأعراف : ٤٨ .

(١٦) فاطر : ٩ .

الفصل الثالث

أحوال المسند

المسند هو : المحكوم به وهو الفعل التام ، واسم الفعل ، والمصدر النائب عن فعله والمبتدأ المكثف بمرفوعه ، وخبر المبتدأ ، وما أصله خبر المبتدأ ، والقيود ، والمفاعيل وغيره من المواضع مما أفضت الحديث فيه عند الحديث عن أحوال الاسناد .

وقد تعرض البلاغيون للأغراض البلاغية التي يكون عليها الخبر من ذكر وحذف ، وتقديم وتأخير وتعريف وتنكير وستعرض لهذه المواضع بالتفصيل كل في حينه ان شاء الله تعالى .

١ - حذف المسند

١ - يحذف المسند بغرض التخيل لأقوى الدليلين اللفظي أو المعنوي ، أو للاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر اما لضيق المقام .

كما في قول الضابيء بن الحارث البرجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب

قيار : اسم فرس للشاعر أو جمل . رحله : المنزل والمأوى .
قالمسند اليه « فاني » ، والمسند « لغريب » ، وقيار : اسم معطوف على محل « اسم ان » في قوله « انى » وهو المبتدأ ، والتقدير : انى لغريب بها وقيار غريب .

وقد حذف الخبر الثاني « غريب » لضيق المقام ، ولدلالة القول عليه بحيث أراد الشاعر أن يسوى بينه وبين جملة « قيار » فما يعانيه من آلام الفراق والبعد عن الأحباب كأن قيار يحس بنفس آلام الشاعر ومقاساته .

وكقول الشاعر (١) :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

أى : نحن بما عندنا راضون . فالمسند اليه : « نحن بما عندنا »
والمسند « راضون » قد حذف لدلالة الخبر الثانى عليه ذلك عكس
البيت السابق .

ومثله قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » (٢) .

والمعنى : « والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك » فالخبر الثانى
للمبتدأ المعطوف عليه « ورسوله » محذوف للايجاز بدون ضيق المقام .

يقول القزوينى : « ويجوز أن يكون جملة واحدة ، وتوحيد الضمير
لأنه لا تفاوت بين رضا الله ، ورضا رسوله ، فكأننا فى حكم مرضى واحد ،
وذلك كقولك : زيد منطلق وعمرو ، أى وعمرو كذلك . وعليه قوله
تعالى : « واللأئى يثنى من المحيض من نسائك أن ارتبتم فعدتهن
ثلاثة أشهر واللأئى لم يحضن » (٣) .

أى : « واللأئى لم يحضن مثلهن » (٤) . فقد حذف المسند لدلالة
ما سبقه عليه وكذلك للايجاز .

٢ - وقد يكون الحذف لاتباع استعمال الوارد وضيق المقام مع
الاحتراز عن العبث .

كقول الأعشى :

ان محلا وان مرتحلا وان فى السفر اذ مضوا مهلا (٥)

(١) هو لعمر بن امرئ القيس الخزرجى أو لقيس بن الخطيم .

(٢) التوبة : ٦٢ . (٣) الطلاق : ٤ .

(٤) البغية ١٧٣/١ .

(٥) محلا ومرتحلا : مصادران ميميان بمعنى الحلول والارتحال .

والسفر : اسم جمع أى المسافرين ، والمراد بهم الموتى . مهلا : مصدر بمعنى
الامهال وطول الغيبة .

والمعنى : ان لنا في الدنيا محلا ، وان لنا عنها ارتحالا لا يكون له عودة ، ذلك لأن الذين مضوا من قبل - أى الموتى - لا تكون لهم عودة . فحذف خبر « ان » لتكرارها وتعدد اسمها .

ومما حذف للاحتراز عن العبث أيضا قوله تعالى : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى اذن لأمسكنم خشية الانفاق » (٦) والتقدير : لو تملكون تملكون . فأضمر « تملك » الأولى ، ، وعبر عن الضمير المتصل وهو : « الواو » بذكر « أنتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ . فـ « أنتم » المذكورة في الآية فاعل الفعل المضمر « وتملكون » .

يقول الخطيب نقلا عن الزمخشري : « ان قوله تعالى « أنتم تملكون » فيه دلالة على الاختصاص ، وان الناس هم المختصون بالشئ المتبالم » (٧) .

ومما يحتمل الوجهين : أى حذف المسند اليه أو المسند :

قوله تعالى : « بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل » (٨) وقوله تعالى : « سورة أنزلناها » (٩) . وقوله تعالى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن ، قل لا تقسموا ، طاعة معروفة » (١٠) .

فكل من هذه الأقوال الكريمة يحتمل حذف المسند اليه ، وحذف

المسند .

فالتقدير فى حذف المسند اليه تقول : « فأمرى صبر جميل » وفى حذف المسند تقول : « فصبر جميل أجمل » . والتقدير فى حذف المسند اليه فى الآية الثانية : « هذه سورة أنزلناها » ، وفى حذف المسند تقول : « أو فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها » . وفى الثالثة التقدير فى حذف المسند اليه : « وأمركم ، أو الذى يطلب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها ولا يرتاب » . أو « طاعتكم طاعة معروفة » . والتقدير فى حذف المسند : « طاعة معروفة امثل » .

• (٧) البغية ١٧٤/١

• (٩) النور : ١

• (٦) الاسراء : ١٠٠

• (٨) يوسف : ٨٣

• (١٠) النور : ٥٣

ومما يحتمل الوجهين أيضا قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة » (١١) والتقدير فى حذف المسند ايه : « ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة » . وان كان هذا التقدير قد رد لأن فيه تقرير لثبوت وجود آلهة ، لأن النفى انما يكون للمعنى المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ . هذا بالاضافة الى قوله تعالى بعده : « انما الله اله واحد » (١٢) يناقضه . فيجوز أن يكون المسند المحذوف والتقدير : « ولا تقولوا لنا أو فى الوجود آلهة ثلاثة » . فجملة : « لنا فى الوجود » خبر مقدم وهو محذوف . و « آلهة » : مبتدأ و « ثلاثة » صفة لمبتدأ محذوف .

وفى تقدير أن المسند اليه هو المحذوف يكون التقدير : « ولا تقولوا الله والمسيح وآمه ثلاثة » أى : لا تعبدوهما كما تعبدون الله » .

ويشترط فى الحذف أن تكون له قرينة ، كوقوع الكلام جوابا عن سؤال اما محقق (١٣) : كقوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » (١٤) . أى خلقهن الله . فحذف المسند « خلقهن » .

وكقوله تعالى : « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله » (١٥) . والتقدير « نزله الله » أى ليقولن نزله الله ولكن حذف الخبر لوقوعه ووجوده فى جواب السؤال المذكور فى القول الكريم .

واما مقدر : كقول الحارث بن ضرار (١٦) :

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح (١٧)

(١١) النساء : ١٧١ . (١٢) النساء : ١٧١ .

(١٣) السؤال المحقق هو المذكور فى الكلام ، والمقدر ما لا يذكر .

(١٤) لقمان : ٢٥ ، والزمر ٣٨ .

(١٥) العنكبوت : ٦٣ . (١٦) قيل أيضا انه للحارث .

(١٧) الضارع : الدليل . والمختبط : الذى يأتى اليك للمعروف من

غير وسيلة ، وقوله : تطيح بمعنى تذهب وتهلك . والطوائح جمع مطيحة على غير القياس وقياسه مطاوح أو مطيحات .

قوله : « لييك » بالبناء للمجهول فكان هناك سؤالاً مقدراً : من يبكيه ؟
فتكون الإجابة : « ضارع » أى يبكيه ضارع وقد حذف فعل « ضارع » هذا
وعبر باسم الفاعل ليشير الى مدى حاجة الناس له ، وأنه كان فى عون
الذليل والمحتاج .

وكقوله تعالى : « يسبح له فيها بالغدو والآصال » رجال (١٨)
فبنى الفعل للمجهول فيفيد بذلك اسناد الفعل مرتين ، كان هناك
سؤال مقدر : من يسبحه ؟ فيقال : يسبحه رجال . فحذف الفعل « يسبحه »
المسند لوقوعه فى جواب سؤال مقدر وهو ما ذكرناه - أى من
يسبحه ؟

٢ - ذكر المسند

يذكر المسند لأغراض بلاغية منها :

١ - زيادة الإيضاح والتقرير : كقوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » (١٩) .
فقد ذكر المسند في قوله تعالى : « خلقهن » وكان من الممكن أن يحذف لدلالة السؤال الذي يسبقه عليه إلا أنه ذكر مرة أخرى لزيادة التقرير والايضاح .

٢ - للتعريض بغباوة السامع : كما في قولك : « محمد نبينا »
في جواب سؤال : من نبيكم ؟

٣ - وأما ليتعين كونه اسما مستفاد منه الثبوت والدوام ، أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد أو كونه ظرفا أو جارا ومجرورا فيفيد احتمال الثبوت والتجدد .

فمثال كونه اسما قول النضر بن جؤية :

لايألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو « منطلق »

فجاء المسند : « منطلق » اسما ليفيد بأن الدرهم لا يمكن في صرتهم فهو لا يكثر ، وإنما يكون دائما الانطلاق ولا يلبث أن ينق على المحتاج فهذا ادعى لوصفهم بشدة الكرم والجود .

وكقوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » (٢٠) فأفاد معنى اسم الفاعل الثبوت على هيئة واحدة وهى البسط ، أما لو عبر بالفعل « يبسط » لأفاد أن الكلب دائم الحركة فهو يقبض ويبسط وذلك غير مراد من الوصف .

(٢٠) الكهف : ١٨ .

(١٩) الزخرف : ٩ .

ومثال كونه فعلا قول طريف بن تميم العنبري :
أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عريفهم يتوسم (٢١)
فالفاعل : « يتوسم » أفاد أن التأمل وطول التفحص والنظر كان
متجددا .

* * *

٣ - أغراض تأخير المسند

أما تأخير المسند فلكون ذكر المسند اليه أهم ، فأغراض تأخير
المسند هي ما سبق من أغراض تقديم المسند اليه .

* * *

(٢١) عكاظ : سوق بين نخلة والطائف . والعريف : المقيم الذي
يقوم بأمر القوم .

٤ - تقديم المسند

يقدم المسند لأغراض بلاغية منها :

١ - لتخصيصه بالمسند إليه: كقوله تعالى : «لكم دينكم ولي دين» (٢٢) فأفاد التقديم التخصيص .

ومثله قوله تعالى : « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » (٢٣) فالتقديم للجار والمجرور أفاد قصر صفات هذا الخمر على خمر الجنة فقط فهو بخلاف خمور الدنيا التي تغتال العقول وتذهب بها .

٢ - للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت : كقول حسان بن ثابت (٢٤) فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

من قصيدة مطلعها :

له راحة لو أن معشار جودها على البر كان أندى من البحر

فقدم الشاعر الجار والمجرور «له همم» ولم يقل «همم له» لأنه لو قدم المسند إليه «همم» على المسند «له» لتوهم أنه نعت وليس خبرا .

ومثله قوله تعالى : «ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين» (٢٥) .

فقدم الجار والمجرور «لكم» .

٣ - وأما للتفاؤل كقول الشاعر :

سعدت بغرة وجهك الأيام وتزينت ببقائك الأعوام

(٢٢) الكافرون : ٦ . (٢٣) الصافات : ٤٧ .

(٢٤) قيل انه لبكر بن النطاح . (٢٥) البقرة : ٣٦ .

٤ - التشويق الى ذكر المسند : كقول محمد بن وهيب فى مدح
أبى اسحاق المعتصم :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

فالمسند قوله : « ثلاثة » وهو موصوف بقوله : « تشرق » ، والمسند
اليه المتأخر قوله : « شمس الضحى ، وأبو اسحاق ، والقمر » .

يقول العلامة البنانى : « أضاف الشمس الى الضحى لأنه ساعة قوتها
مع عدم شدة ايذاها ، وقوله : « أبو اسحاق » كنية المعتصم ، ولا يخفى
حسن توسطه بين الشمس والقمر للاشارة الى أنه خير منهما لأن خير الأمور
أوسطها » (٢٦) .

وكقول أبى العلاء المعرى :

وكالنار الحية فممن رماد أواخرها وأولها دخان

فقد شبه الشاعر الحياة بالنار فى أحوالها الثلاثة ، وهو أولها وآخرها
وهما دخان ، أما اللهب الحقيقى فهو ما بين اشتعالها وانطفائها ، وهذا
كالهياة فان الانسان فى أول حياته يكون الصبا وآخرها يكون الشيب وبين
ذلك يكون الشباب وهو المعتد به .

(٢٦) شرح البنانى على مختصر السعد ٣٧١/١ .

٥ - تنكير المسند

ينكر المسند لأغراض بلاغية منها :

- ١ - ألا يراد به حصر ولا عهد (٢٧) اللذان يستفادان من التعريف فإذا لم ترد أيا منهما نكرت المسند فتقول : « زيد كاتب وعمرو شاعر » .
 - ٢ - وقد ينكر أيضا للتفخيم كما في قوله تعالى: «هدى للمنفقين» (٢٨) فقوله تعالى : « هدى » خبر مبتدأ محذوف أو خبر « ذلك الكتاب » .
 - ٣ - كما يفيد التنكير التحقير كما في قول قيس بن جروة يخاطب عمرو بن هند :
- غدرت بأمر كنت أنت دعوتنا اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى ، وطعامه اذا هو أمسى حلبة من دم الفصد
- فجاء قوله : « حلبة » نكرة لقصد التحقير أو التقليل وغير ذلك من المواضع التي يتطلبها المقام .



-
- (٢٧) « يعرف المسند اذا كان بأداة عهدية ، أو بمضمر ، أو اسم إشارة أفاد العهد وإذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للحصر . كما قد يفيد غير الحصر أيضا » البغية ٢٠٢/١ .
- (٢٨) البقرة : ٢ .

٦ - دواعى تخصيص المسند بالإضافة أو الوصف أو ترك التخصيص

أما دواعى تخصيص المسند بالإضافة فلكون الفائدة به اتم واكمل كقولك : « سيبويه عالم نحو » ، وفى الوصف تقول : « خالد رجل محارب » .

وقد يقصد البليغ الى ترك تخصيص المسند بالإضافة أو الوصف لمانع من تربية الفائدة ، كإرادة عدم اعلام السامعين بهذا التخصيص لعله ما كالخوف من شيء ، توخياً للحذر أو الغيرة وغير ذلك من المواضع التى توجب ترك التخصيص لغرض فى نفس المتكلم .



٧ - تعريف المسند

يعرف المسند لدواعى عديدة :

١ - اما للحكم على أمر معلوم له باحدى طرق التعريف المعلومة - كالاضمار والعلمية والموصولية ، واسم الاشارة - بأمر آخر معلوم له كذلك باحدى طرق التعريف سواء اتحد طريقا التعريف كقولك : « الراكب هو المنطلق » فعرف كلا من الطرفين المسند اليه والمسند باللام .

أو اختلفا كقولك : « زيد هو المنطلق » ، فجاء المسند اليه اسماً علماً ، والمسند معرّفاً باللام وذلك لأنه ليس فى كلام العرب جملة خبرية مؤلفة من مسند اليه نكرة ومسند معرفة .

٢ - واما لإفادة لازم الحكم على أمر معلوم بآخر مثله : وذلك بأن يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ، ويكون السامع عالماً بواحدة دون الأخرى ، فحينئذ يقدم ما يعلمه السامع ويجعله مسنداً اليه ، وتجعل الصفة الأخرى المجهولة له هى المسند فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية . كما اذا كان السامع يعرف « علياً » بعينه لكنه لا يعرف أنه « شاعر » وأردت أن تعرفه بأنه شاعر فتقول له : « على شاعر » .

أو يكون السامع عالماً بالصفتين كل على حدة لكنه لا يعلم النسبة بينهما : بأن يكون يعلم أن هناك شاعر ، كما يعرف رجلاً يسمى « علياً » لكنه لا يعلم أنه هو الشاعر ، فحينئذ تقول له : « الشاعر على » .

يقول السعد : « وفي هذا تنبيه على أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي إفادة الكلام للسامع مع فائدة مجهولة ، لأن العلم بنفس المبتدأ والخبر لا يستلزم العلم باسناد أحدهما إلى الآخر » (٢٩) .

— والمسند المعروف بلام الجنس قد يفيد قصر المسند على المسند اليه : أما تحقيقاً كقولك : « شوقي الأمير » إذا لم يكن أمير سواه . فتقصر صفة الامارة على شوقي قصرأً حقيقياً .

وأما ادعاء مبالغة لكمال ذلك الشيء في الجنس كقولك : « خالد الشجاع » أي المتكامل في الشجاعة لقصور غيره في تلك الصفة .

والجنس قد يبقى على إطلاقه كما مر ، وقد يقيد بوصف أو حال أو ظرف أو مفعول ، أو نحو ذلك .

كقول الأعشى :

هو الواهب المائة المصطفاة أما مخاضاً وأما عشاراً

فجاء قصر الهبة من المائة عند الشاعر في حالين فقط حال كونها مخاضاً أو عشاراً وليس مطلقاً في كل حال من حالاتها ، أو كان الاطلاق من الابل أو غيرها .

فاللام في قوله : « الواهب المائة المصطفاة » للجنس ، فالهبة هنا بمنزلة النوع .

— وقد يكون المعروف بلام الجنس لا يفيد القصر أحياناً كقول الخنساء :
إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

(٢٩) تهذيب السعد ١٣٣/٢ .

فالخنساء تريد أن تقول : انه اذا كان البكاء على قتيل قبيح ، فانه يحسن على أخيها صخر . والتعريف باللام فى لفظ « الحسن » لا يراد منه التخصيص ، وانما مجرد التقرير والتثبيت للحسن فى بكائها على أخيها صخر .

يقول السعد : « اذا جعل الم عرف بلام الجنس مبتدا كقولك : « الأمير زيد » و « الشجاع عمرو » لا تفاوت بينهما وبين ما تقدم فى افادة القصر ، فالمعرف بلام الجنس ان جعل مبتدا فهو مقصور على الخبر سوا كان الخبر معرفة أو نكرة ، وان جعل خبرا فهو مقصور على المبتدا » (٣٠) .



الفصل الرابع

أحوال متعلقات الفعل

الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل ، اذ أن لكل منهما افادة تلبس بالفعل . كما يلبس الفعل المفعول لأجله ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والحال ، والتميز والظرف والجار والمجرور وغير ذلك . والمسند هو الفعل ، لذا فالمسند يلبس هذه المتعلقات .

يقول الخطيب : « فحال الفعل مع المفعول كحاله مع الفاعل ، فكما أنك اذا أسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، كذلك اذا عديته الى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط . فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما انما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، أما اذا أريد الاخبار بوقوعه في نفسه من غير ارادة أن يعلم ممن وقع في نفسه أو على من وقع منه فالعبارة عنه أن يقال : « كان ضرب » أو وقع أو وجد ، او نحو ذلك من الفاظ تفيد الوجود المجرد » (١) .

وتدور موضوعات هذا الباب في ثلاثة مباحث :

الأول : حذف المفعول به .

الثاني : تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل .

الثالث : تقديم بعض معمولات الفعل على بعض .

(١) بغية الايضاح : ٢١٥/١ .

أولا - حذف المفعول به :

الفعل المتعدى اذا أسند الى فاعله دون ذكر مفعول به له فهو على ضربين :

الضرب الأول : أن ينزل منزلة الفعل اللازم ، وذلك اذا كان الغرض مجرد اثبات المعنى فى نفسه للفاعل أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلق عمومته وخصوصه ، ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه فلا يذكر له مفعول ولا يقدر أيضاً ، لأن المقدّر فى حكم المذكور .

يقول عبد القاهر : « ان حال الفعل مع المفعول الذى يتعدى اليه حاله مع الفاعل ، كما أنك اذا قلت : « ضرب زيد » فأسندت الفعل الى الفاعل ، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلاً له ، لا أن تفيد وجود الضرب فى نفسه وعلى الاطلاق . كذلك اذا عدت الفعل الى المفعول فقلت : « ضرب زيد عمراً » كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثانى ، ووقوعه عليه ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن يعمل الفعل فيهما انما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذى اشتق منه بهما . فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه » (٢) .

ويقول ايضا : « اعلم أن أغراض الناس تختلف فى ذكر الأفعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارة ، ومرادهم أن يقتضوا على اثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين . فاذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى مثلاً فى أنك لا ترى له مفعولاً ، لا لفظاً ، ولا تقديراً . مثال ذلك : قول الناس : « فلان يحل ويعقد ، ويأمر وينهى ، ويضر وينفع » ، وكقولهم : « هو يعطى ويجزل ، ويقرى ويضيف » . والمعنى فى جميع ذلك على اثبات المعنى فى نفسه للشئ على الاطلاق ، وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول حتى كأنك قلت : صار اليه الحل والعقد ، وصار بحيث يكون حل وعقد ، وأمر ونهى ، وضر ونفع ، وعلى هذا القياس . قوله تعالى :

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠١ .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٣) . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على معلوم .
وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أَمَات وأحيا » (٤) وقوله : « وأنه هو أغنى وأقنى » (٥) . والمعنى هو الذى منه الاحياء والاماتة ، والاغناء والاقناء ، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى فى نفسه فلا للشئ وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون منه فإن الفعل لا يعدى هناك لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى « (٦) » .

وهذا الضرب قسمان :

الأول : وهو ما يجعل الفعل فيه مطلقاً كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص ، دلت عليه قرينة أولاً ، وهذا القسم هو ما ذكره عبد القاهر قسماً ثانياً يتبع القسم الأول . ومثال ذلك قول الشاعر :

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

فقوله : يرى مبصر ، ويسمع واع ، كناية عن فعل متعلق بمفعول مخصوص وهو يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أخباره ، يقول السعد : « فالحاصل أنه نزل «يرى» و«يسمع» منزلة اللزوم أى من يصدر عنه السماع والرؤية من غير تعلق بمخصوص هو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ، ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذا بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة عن أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتغال الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راء ، ويسمعها كل واع فذكر الملزوم وأراد اللزوم على ما هو طريق الكناية ، ففى ترك المفعول والاعراض عنه اشعار بأن فضائله قد بلغت من الظهور والكثرة الى حيث يكفى مجرد أن يكون ذو سمع وذو بصر ، حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل ، ولا يخفى أن يفوت هذا المعنى عند ذكر المفعول أو تقديره « (٧) » .

(٤) النجم : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) الزمر : ٩ .

(٦) دلائل الاعجاز ص ١٠٢ .

(٥) النجم : ٤٨ .

(٧) مختصر السعد ٣٧٨/١ بتصرف .

ومثله قول الشاعر :

قلو ان قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

يقول الشاعر : لو أن قومه انتصروا فى هذه الحرب لكان ذلك سبباً لنطق الشعراء ، ومديحهم لقوتهم ونصرهم ، ولكنهم تخاذلوا فانهزموا فحسبت رماحهم السنة الشعراء وغيرهم عن المديح . فالفعل « أجرت » والفاعل : ضمير مستتر يعود على الرماح ، والمفعول هو الشاعر ، فلما حذف ضمير المتكلم فهم منه أن الرماح قد أجرت الشاعر ، وغيره ، وليس الشاعر وحده .

يقول عبد القاهر : « أجرت » فعل متعد ، ومعلوم أنه لو عداه لما عداه الى ضمير المتكلم نحو : « ولكن الرماح أجرتنى » فانه لا يتصور أن يكون هاهنا شيء آخر يتعدى اليه لاستحالة أن يقول : « قلو ان قومى أنطقتنى رماحهم » ثم يقول : « لكن الرماح أجرت غيرى » . الا أنك تجد المعنى يلزمك ألا تنطق بهذا المفعول ، ولا تخرجه الى لفظك ، والسبب فى ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض ، وذلك أن الغرض هو : أن يثبت أنه كان من الرماح اجرار وحبس اللسان عن النطق ، وأن يصح وجود ذلك . ولو قال : « أجرتنى » جاز أن يتوهم أنه لم يعن بأن يثبت للرماح اجرار بل الذى عناه أن يتبين أنها أجرتة ، فقد يذكر الفعل كثيراً ، والغرض منه ذكر المفعول ، ولم ينطق بالمفعول لتخلص العناية لاثبات الاجرار للرماح ويصح أنه كان منها وتسلم بكليتها لذلك « (٨) » .

الضرب الثانى : أنه قد ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم ، فلا ينظر الى المفعول أو يقدر بل يراد أصل معنى الفعل مطلقاً كقوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٩) أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث له هذا المعنى .

(٨) دلائل الاعجاز ص ١٠٤ بتصرف .

(٩) الزمر : ٩ .

أى دون اعتبار تعلقه بمعلوم عام أو خاص ، فالغرض اثبات معنى العلم مطلقاً اثباتاً فى قوله : « الذين يعلمون » ونفياً فى قوله : « الذين لا يعلمون » .

وكذلك قوله : « وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا » (١٠) فالمراد هو اثبات معنى الأفعال السابقة من أضحك وأبكاء وأماتة وأحيا لله سبحانه وتعالى دون تعلق ذلك بمعلوم عام أو خاص .

أما الضرب الثانى الذى يذكر فيه الفعل المتعدى مسنداً لفاعله اثباتاً أو نفياً مع تعلقه بمفعول غير مذكور ، حينئذٍ وجب تقديره بحسب القرائن الدالة على تعيين المفعول ان عاماً فعام ، وان خاصاً فخاص ، ولما وجب تقدير المفعول تعيين أنه مراد وقد حذف لغرض . فمن تلك الأغراض :

١ - البيان بعد الابهام كما نجد فى فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا وقع شرطاً فان الجواب يبينه ويدل عليه وانما يحذف اذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة . مثل قول الله تعالى : « فلو شاء لهداكم أجمعين » (١١) أى لو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين . فانه لما قال الله تعالى : « شاء » علم السامع أن هناك شيئاً علقت المشيئة عليه لكنه مبهم فاذا جئ بجواب الشرط صار مبيناً وهذا أوقع فى النفس . وكذلك قوله تعالى : « فان يشأ الله يختم على قلبك » (١٢) . فتقدير المفعول المحذوف تقديره : « فان يشأ الله الختم » . ومثله قوله تعالى : « من يشأ الله يضلله » (١٣) .

يقول عبد القاهر : « وذلك أن فى البيان اذا ورد بعد الابهام ، وبعد التحريك له أبداً لطفاً ونبلاً لا يكون اذا لم يتقدم ما يحرك وأنت اذا قلت : « لو شئت » علم السامع أنك قد علقت هذه المشيئة فى المعنى بشيء فهو يضح فى نفسه أن هاهنا شيئاً تقتضى مشيئته له أن يكون أو لا يكون فاذا قلت : « لم تفسد سماحة حاتم » عرف ذلك الشيء » (١٤) .

٢ - أما اذا كان فى تعلق الفعل بالمفعول غرابة فانه يذكر لتقريره فى نفس السامع .

-
- (١٠) النجم : ٤٣ ، ٤٤ . (١١) الأنعام : ١٤٩ .
 (١٢) الشورى : ٢٤ . (١٣) الأنعام : ٣٩ .
 (١٤) دلائل الاعجاز ، المكتبة العربية ، الطبعة الاولى ، ص ١٠٨

مثل قول الشاعر :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيتـه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
والشاهد فى قوله : « لو شئت أن أبكى دما » فتعلق فعل المشيئة
ببكاء الدم غريب ولذا وجب ذكره ليعلمه السامع فى نفسه ويأنس به .
٣ - وأما يحذف المفعول لدفع توهم ارادة غير المراد ابتداء .

كقول الشاعر :

وكم ذدت عنى من تحامل حادث وسورة أيام حزن الى العظم
ذدت : أى دفعت . وسورة أيام : أى شدتها وصولتها . حزن :
أى قطعن . والشاهد : هو حذف المفعول « اللحم » ذلك أنه لو ذكر اللحم
لربما توهم أن الحزن لم ينته الى العظم ، وإنما كان فى بعض اللحم ،
فحذف المفعول دفعا لهذا التوهم .

يقول عبد القاهر : « الأصل لا محالة حزن اللحم الى العظم ،
إلا أن مجيئه به محذوفاً ، وأسقاطه له من النطق ، وتركه فى الضمير
مزية عجيبة وفائدة جلييلة ، وذلك أن من حذف الشاعر أن يوقع المعنى
فى نفس السامع إيقاعاً يمنع به من أن يتوهم فى بدء الأمر شيئاً غير
المراد ، ثم ينصرف الى المراد ، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال :
« وسورة أيام حزن اللحم الى العظم » ، لجاز أن يقع فى وهم السامع الى
أن يجيء قوله : « الى العظم » أن هذا الحزن كان فى بعض اللحم دون
كله وأنه قطع ما يلى الجلد ، ولم ينته الى ما يلى العظم ، فلما كان
كذلك ترك ذكر اللحم وأسقطه من اللفظ ليبرىء السامع من هذا
الوهم » (١٥) .

٤ - وقد يحذف المفعول لارادة ذكره ثانيا على وجه يتضمن إيقاع
الفعل على صريح لفظه اظهارا لكمال العناية به .

كقول البحرى يمدح الخليفة المعتز بالله :
قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤدد والمجد والمكارم مثلاً

(١٥) دلائل الاعجاز ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

والأصل فى الأسلوب أن يقول : قد طلبنا لك مثلاً فى السؤدد والمجد والمكارم فلم نجد لك مثيلاً . فحذف الشاعر لفظة « مثلاً » الأولى لأن الشاعر يهدف أن يوقع نفى الوجود على صريح لفظ « المثل » .

يقول صاحب البغية : « انما كان هذا غرضه لأنه أكد فى كمال المدح ، ولو عكس فصرح أولاً ، وأضمر ثانياً لفات هذا الغرض ، لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره » (١٦) .

بينما يرى سعد التفتازانى وجهاً آخر للحذف اذ يقول : « ويجوز أن يكون السبب فى حذف مفعول « طلبنا » ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له قصداً الى المبالغة فى التأدب معه حتى كأنه لا يجوز وجود المثل له ليطلبه » (١٧)

ولذلك عكس ذو الرمة فى قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعرى لئيماً أن يكون أصاب مالا

فقد أوقع النفى على فعل المديح « لم أمدح » فيكون واقعاً صريحاً على لفظ « اللئيم » ، وكذلك أسند الفعل « أرضى » الى ضمير اللئيم لأنه لا يستحق ايقاع فعل الرضا على صريح لفظه .

٥ - قد يحذف المفعول قصداً الى التعميم فى المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع . كما جاء فى قول الله تعالى : « والله يدعوا الى دار السلام » (١٨) أى يدعو كل الناس .

٦ - وقد يحذف المفعول لرعاية الفاصلة : كقوله تعالى : « والضحى » والليل اذا سجدى * ما ودعك ربك وما قلى » (١٩) . أى وما قلاك * وكقوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (٢٠) الأصل : والذاكرين الله كثيراً والذاكراته ، فحذف الضمير لرعاية الفاصلة والاختصار أيضاً .

(١٦) بغية الايضاح ٢٢١/١ .

(١٧) التهذيب - لسعد الدين التفتازانى ١٥٠/١ .

(١٨) يونس : ٢٥ . (١٩) الضحى : ١ - ٣ .

(٢٠) الأحزاب : ٣٥ .

٧ - وأما لاستهجان التصريح به كقول عائشة رضي الله عنها :
« كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من اناء واحد فما رأيت منه ولا رأى
منى » والشاهد : هو حذف مفعول الفعلين : « رأيت » ، و « رأى » تقصد
العورة . فلم تذكر استهجانا للتصريح بها .

وقد يكون عدم ذكره لعلة أخرى كاخفائه ، أو التمكن من انكاره
ان مست إليه حاجة أو تعينه حقيقة أو ادعاء ، وغير ذلك .

٨ - وقد يحذف المفعول لمجرد الاختصار مع وجود قرينة دالة على
قصده المتكلم كما فى قوله تعالى : « رب أرنى أنظر إليك » (٢١) أى ذاتك .

وكقوله تعالى : « وإذا رأوك أن يتخذونك إلا هزوا وهذا الذى
بعث الله رسولا » (٢٢) . فالأصل فى الأسلوب : أهذا الذى بعثه الله
رسولا . فالحذف قد يكون للاختصار مع افادة حال نفوس المشركين فى
حقدهم على الرسول ﷺ ، كأنهم يتحاشون النطق بذلك .



تقديم بعض المعمولات على الفعل

قد يقدم الفعل وهو العامل على المفعول وهو المفعول به وغيره
كالحال والظرف والجار والمجرور ، وغيره لعلة بلاغية منها :

١ - لرد الخطأ فى التعيين : كقولك : « علياً عرفت » لمن يعتقد
أنك قد عرفت انسانا غير على ، وفى حالة التأكيد والتقرير تقول :
« عليا عرفت لا غيره » ويعرف هذا بقصر القلب .

يقول الخطيب : « لذلك لا يصح أن يقال : « ما زيدا ضربت ولا أحداً
من الناس » لتناقض دلالتى الأول والثانى ، ولا أن تعقب الفعل المنفى
بإثبات ضده كقولك : « ما زيدا ضربت ولكن أكرمته » . لأن مبنى الكلام
ليس على أن الخطأ فى الضرب فترده الى الصواب فى الاكرام ، وإنما هو
على أن الخطأ فى المضروب حين اعتقد أنه زيد ، فردة الى الصواب أن
تقول ، ولكن عمراً » (٢٣) .

(٢٢) الفرقان : ٤١ .

(٢١) الاعراف : ١٤٣ .

(٢٣) البغية ١/٢٢٧ .

٢ - وقد يكون التقديم لرد الخطأ فى الاشتراك : وذلك فى حالة اعتقاد المخاطب « أنك تعرف عليا وعمرا » . مثلاً فتقول له : « علياً عرفت » وهذا ما يعرف « بقصر الافراد » ، وإذا أردت تأكيد القول تقول : « علياً عرفت وحده » .

أما إذا كان المخاطب شاكاً فى معرفتك بين علياً وعمر فتقول : « عليا عرفت » كان ذلك « قصر تعيين » . وفى قوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم » (٢٤) قد أفيد التخصيص فيمن قرأ بالنصب . وكذلك قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » (٢٥) . والمعنى : نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك .



اغراض تقديم بعض المعمولات على بعض

يعود تقديم بعض المعمولات على بعض لأغراض بلاغية :

وذلك : أما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول : لأن أصله التقديم على سائر معمولات الفعل ، وإذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه ، لا وقوعه على من وقع عليه .

٢ - وكتقديم المفعول الأول على الثانى كقولك : « أعطيت زيدا درهماً » .

٣ - وأما لكون ذكره أهم والعناية به أتم .

٤ - وأما لأن فى التأخير اخلاصاً ببيان المعنى كقوله تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » (٢٦) . فلو أُنْزِلَ « من آل فرعون » عن « يكتم إيمانه » لتوهم أن « من » متعلقة بـ « يكتم » فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون » (٢٧) .

« تم بحمد الله تعالى »

-
- | | |
|---------------------------|------------------|
| (٢٥) الفاتحة : ٥ . | (٢٤) فصلت : ١٧ . |
| (٢٧) بغية الايضاح ٢٣٢/١ . | (٢٦) غافر : ٢٨ . |

محتويات الكتاب

| الصفحة | |
|--------|---|
| ٥ | الاهـداء |
| ٧ | المقدمة |
| | الباب الأول : الفصاحة ++ والبلاغة |
| | (٩ - ٣٢) |
| ١١ | الفصل الأول : الفصاحة |
| ١١ | الفصاحة لغة ، واصطلاحا |
| ١٢ | فصاحة الكلمة |
| ٢٠ | فصاحة الكلام |
| ٢٥ | فصاحة المتكلم |
| ٢٧ | الفصل الثاني : البلاغة |
| ٢٧ | البلاغة لغة ، واصطلاحا |
| ٢٨ | بلاغة الكلام |
| ٢٨ | تعريف الحال ومقتضاه |
| ٢٩ | بلاغة المتكلم |
| ٣٠ | الفرق بين الفصاحة والبلاغة |
| ٣٢ | علم البلاغة |
| | الباب الثاني : علم المعاني |
| | (٣٣ - ١٢٦) |
| ٣٥ | علم المعاني : تعريفه ، أبوابه |
| ٣٧ | تقسيم الكلام الى خبر وانشاء |
| ٣٨ | الفصل الأول : أحوال الاسناد الخبري |
| ٣٨ | تعريف الاسناد |
| ٤٤ | خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر |
| ٤٨ | الحقيقة والمجاز العقليان |
| ٤٨ | تعريف الحقيقة |
| ٤٨ | تعريف المجاز اللغوي |
| ٥٠ | صور الحقيقة العقلية عند الخطيب القزويني |
| ٥٠ | تعريف المجاز العقلي |

الصفحة

| | |
|-----|---|
| ٥٢ | قرينة المجاز العقلى |
| ٥٤ | أقسام المجاز العقلى باعتبار طرفيه |
| ٥٦ | علاقات المجاز العقلى |
| ٦١ | المجاز العقلى فى النسب الانشائية والمنفية |
| ٦٢ | المجاز العقلى فى النسب الاضافية والايقاعية |
| ٦٤ | الفصل الثانى : أحوال المسند اليه |
| ٧٢ | التعريف بالاضمار |
| ٧٥ | التعريف بالعلمية |
| ٧٦ | التعريف بالوصولية |
| ٧٩ | التعريف بالاشارة |
| ٨٣ | التعريف بـ « أل » أو باللام |
| ٨٦ | تعريف المسند اليه بالاضافة |
| ٨٨ | أغراض التنكير |
| ٩١ | التقديم |
| ٩٦ | تقديم المسند اليه لافادة عموم السلب وسلب العموم |
| ٩٧ | تأخير المسند اليه |
| ٩٨ | تخريج المسند اليه خلاف مقتضى الظاهر |
| ١٠١ | الالتفات |
| ١٠٤ | التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى ، وعن الماضى بلفظ المضارع |
| ١٠٥ | الفصل الثالث : أحوال المسند |
| ١١٨ | الفصل الرابع : أحوال متعلقات الفعل |
| ١٢٥ | تقديم بعض المعمولات على الفعل |
| ١٢٦ | أغراض تقديم بعض المعمولات على بعض |
| ١٢٧ | محتويات الكتاب |



رقم الايداع ١٩٨٧/٨٣٢٨
الترقيم الدولى ٩٧٧-٣٠٧-١٢٣-٥

